مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثَوْرَانِ

أَسَدٌ خَرَجَ عَلَى ثَوْرَيْنِ فَاجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِهِ بِقُرُونِهِمَا وَلَا يُمَكِّنَانِهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا فَانْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا وَخَدَعَهُ وَوَعَدَهُ أَلَّا يُعَارِضَهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ فَلَمَّا افْتَرَقَا افْتَرَسَهُمَا جَمِيعًا.

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ مِنْهُمَا عَدُوٌّ فَإِذَا افْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ فَنَظَرَ خَيَالَهُ فِي الْمَاءِ فَحَزِنَ لِدِقَّةِ

قَوَائِمِهِ وَسُرَّ وَابْتَهَجَ لِعِظَمِ قُرُوْنِهِ وَكِبَرِهَا وَفِي الْحَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّيَّادُوْنَ فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ فَامًّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُوْهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لَحِقَهُ الصَّيَّادُوْنَ وَقَتَلُوْهُ فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: اَلْمَوْيْلُ لِي اَنَا الْمِسْكِيْنُ الَّذِي ازْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَّصَنِي وَالَّذِي رَجَوْتُهُ اَهْلَكَنِي۔

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ

اَسَدٌ شَاخَ وَضَعُفَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوْشِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيْشَةِ فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَائِرِ وَكَانَ كُلَّمَا اَتَاهُ زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوْشِ يَعُوْدُهُ افْتَرَسَهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَاَكَلَهُ وَاَتَى الثَّعْلَبُ وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ الْوُحُوْشِ فَقَالَ لَهُ الْاَسَدُ

مَالَكَ لاَ تَصِدُ الْحُقُولَ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ
يَا سَيِّدِي قَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هٰذَا غَيْرَ أَنِّي
أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامٍ كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا
وَلاَ أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ۔

مَغْزَاهُ

إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ لاَ يَأْتِيَ أَمْرًا
إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُمَيِّزَهُ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ إِصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ
فَجَعَلاَ يَتَشَاجَرَانِ بِالْكَلاَمِ عَلَى الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ
الْبَأْسِ فَجَعَلَ الأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّةِ بَأْسِهِ
وَبَأْسِهِ فَنَظَرَ الإِنْسَانُ عَلَى حَائِطٍ صُورَةَ رَجُلٍ
وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا، فَضَحِكَ الإِنْسَانُ فَقَالَ
لَهُ الأَسَدُ، لَوْ أَنَّ السِّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثْلَ

---

(١) كثیر نعت لمحذوف بتقدیر بحسب المقام والمراد منه خلق کثیر۔

بَنِی آدَمَ لَمَا قَدَّرَ الْاِنْسَانُ يَخْنُقُ سَبُعًا بَلْ كَانَ السَّبُعُ يَخْنُقُ الْإِنْسَانَ۔

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّی الْاِنْسَانُ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَّادِيْنَ اِنْهَزَمَ اِلٰى مَغَارَةٍ فَدَخَلَ اِلَيْهِ الْاَسَدُ فَافْتَرَسَهُ فِيْهَا فَقَالَ فِی نَفْسِهِ: اَلْوَيْلُ لِی اَنَا الشَّقِیُّ لِاَنِّی هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ فَوَقَعْتُ فِی يَدِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا۔

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيْرًا يَفِرُّوْنَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقَعُوْنَ فِی بَلَاءٍ اَعْظَمَ۔

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ

وَكَانَ الْمَآءُ فِي جُبٍّ عَمِيْقٍ ثُمَّ اَنَّهُ حَاوَلَ الطُّلُوْعَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَنَظَرَهُ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ اَسَأْتَ يَا أَخِ إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُوْرَكَ قَبْلَ وُرُوْدِكَ۔

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلٰى اَنْ يَّاْتِيَ اَمْرًا دُوْنَ تَرَوٍّ فِيْهِ لَمْ يَامَنْ غَائِلَتَهُ۔

أَرْنَبٌ وَلَبُوَةٌ

أَرْنَبٌ مَرَّةً احْتَازَتْ بِلَبُوَةٍ وَقَالَتْ لَهَا: اَنَا أُنْتِجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيْرَةً وَاَنْتِ اِنَّمَا تَلِدِيْنَ فِيْ عُمْرِكِ كُلِّهٖ فَذًّا اَوْ تَوْأَمًا: فَقَالَتْ لَهَا اللَّبُوَةُ. صَدَقْتِ غَيْرَ أَنَّهُ وَاِنْ يَّكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبُعٌ۔

مَغْزَاهُ

لَيْسَ الْاِعْتِمَادُ عَلَى الْكَثْرَةِ وَاِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُفِيْدِ۔

اِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

اِمْرَأَةٌ كَانَ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبِيْضُ كُلَّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةٍ فَقَالَتْ فِيْ نَفْسِهَا : إِنْ أَنَا أَكْثَرْتُ عَلَفَهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ فَلَمَّا فَعَلَتْ ذٰلِكَ اِنْشَقَّتْ حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ

مَغْزَاهُ

اِنَّ كَثِيْرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَخْسَرُوْنَ رَأْسَ مَالِهِمْ

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

اِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ وَفِيْمَا هُوَ فِيْ بَعْضِ الطَّرِيْقِ إِذْ أُنْتِجَتْ لَهُ مُهْرًا فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيْدٍ ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَرَانِيْ صَغِيْرًا لَا اَسْتَطِيْعُ الْمَشْيَ وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِيْ هٰهُنَا فَإِنَّ اَنْتَ اَخَذْتَنِيْ مَعَكَ وَ رَبَّيْتَنِيْ اِلٰى اَنْ اَقْوٰى حَمَلْتُكَ عَلٰى ظَهْرِيْ وَ

أَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ

مَعْزَاةٌ

إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُوَافِقَ بِمَنْ يَسْتَغِيثُونَنَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ۔

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخِنْزِيرًا وَقَصَدَ بِهَا الْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ الْجَمِيعَ أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ الْبَهِيمَةِ وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَخْرُضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ الْوُحُوشِ مَا لِي أَرَى الْكَبْشَ وَالْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ الْخِنْزِيرُ: كُلٌّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْكَبْشَ لِصُوفِهِ وَالْعَنْزَ لِلَبَنِهَا وَأَنَا أَنَا الشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وُصُولِي

إِلَى الْمَدِيْنَةِ الْآثَارِ سَالِي إِلَى الْمَسْلَخِ -

مَغْزَاهُ

أَنَّ الَّذِيْنَ يَغْرَقُوْنَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ يَعْلَمُوْنَ سُوْءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ تَسَابَقَا مَرَّةً وَجَعَلَا الْحَدَّ بَيْنَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ أَمَّا الْأَرْنَبُ فَلِمَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخِفَّةِ فِي الْجَرْيِ تَوَانَى فِي الطَّرِيْقِ وَنَامَ وَأَمَّا السُّلَحْفَاةُ فَلِعِلْمِهَا بِثِقْلِ حَرَكَتِهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ وَلَا تَتَوَانَى فِي الْمَسِيْرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَجَدَهَا قَدْ سَبَقَتْ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مَغْزَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ

الْقُوَّةِ وَيَفْعَلَ أَمْرَهُ فَيَفْشَلَ وَيَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ -

صَبِيٌّ

صَبِيٌّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَلُوْمُهُ عَلَى نُزُوْلِهِ إِلَى النَّهْرِ فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا هٰذَا خَلِّصْنِيْ أَوَّلاً مِنَ الْمَوْتِ ثُمَّ لُمْنِيْ -

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوَّلاً ثُمَّ لُمْهُ -

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ الْجَرَادَ فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَتَاكَ تَبَضْتَنِيْ

بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ الْجَرَادِ۔

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ يَتَدَبَّرُ عَلَى حِدَتِهِ

حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ فَأَقْبَلَتْ تَحُومُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صَحِيفَةٍ مَمْلُوَّةٍ مَاءً فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَانْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا فَقَالَتْ الْوَيْلُ لِي فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوَّ فِي الصَّحِيحِ وَالْمُفْتَعَلِ وَأُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ حَتَّى جَلَبْتُ الْمَنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي۔

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعْجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزْمَ فِي التَّأَنِّي۔

حَدَّادٌ وكَلْبٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَأْبُهُ التَّوَانِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الحَدَّادُ عَامِلاً فَإذَا رَفَعَ الْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا اسْتَيْقَظَ الْكَلْبُ فَقَالَ لَهُ الْحَدَّادُ: يَا كَلْبَ السُّوءِ. مَالِي أَرَى صَوْتَ الْمَطَارِقِ الَّتِي تُزَعْزِعُ الأَرْضَ لاَ تُنَبِّهُكَ وَحِسَّ الْمَضْغِ الْخَفِيَّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْغَبِيَّ يَتَقَاعَسُ عَنِ الْوَعْظِ وَإِذَا سَمِعَ اللَّهْوَ إِنْصَتَ إِلَيْهِ.

أَلْبَطْنُ وَالرِّجْلاَنِ

أَلْبَطْنُ وَالرِّجْلاَنِ تَخَاصَمُوا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ الْجِسْمَ فَقَالَتِ الرِّجْلاَنِ: نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ فَقَالَ الْجَوْفُ: إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذَ مِنَ الطَّعَامِ فَلاَ تَسْتَطِيعَانِ الْمَشْيَ فَضْلاً عَنْ أَنْ تُقِلاَّ شَيْئًا

مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلْ

أَلشَّمْسُ وَالرِّيحُ

أَلشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ فَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا فَكَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا تَزَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَالْتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ۔

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْاِتِّضَاعُ وَدَمَاثَةُ الْأَخْلَاقِ نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَقَاتَلَانِ عَلَى قُهْقُورٍ فَغَلَبَ

أَحَدُهُمَا الْآخَرَ أَمَّا الْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ السَّطْحِ وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَصِيحُ وَيَفْتَخِرُ فَبَصُرَ بِهِ بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَانْقَضَّ إِلَيْهِ وَاخْتَطَفَهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْإِفْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئَابٌ

ذِئَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَكْلِهَا إِلَى الْجُلُودِ فَمِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبُوا انْفَلَقُوا وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرَبَهُمْ (١)

---

(١) أُضمر الذئاب بضمير العقلاء لانه نزلها منزلتهم اذ هي كناية عنهم وقس على ذلك ما اشبهه۔

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيْلَ الرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ.

أَلْوَزُّ وَالْخُطَّافُ

أَلْوَزُّ وَالْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيْشَةِ فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ فَمَرَّ بِهِمَا الصَّيَّادُوْنَ يَوْمًا فَمَا كَانَ مِنَ الْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا الْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ.

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ أَحَاقَ بِهِ السُّوْءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيْدَهَا فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْهَا

مِثْلَ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ فَتَرَكَتْهَا.

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ

نُخَبٌ

مِنَ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٌ

حِكَايَةُ السَّمَكِ وَمَا جَرَى لَهُ

فَقَالَ شَمَّاسٌ: إِعْلَمْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَاؤُهُ وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسَعُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ وَقَالَتْ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا وَكَيْفَ نَحْتَالُ وَ

مَنْ نَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا: فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ
وَكَانَتْ أَكْبَرُهُنَّ عَقْلًا وَسِنًّا وَقَالَتْ ، مَا لَنَا
حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا الطَّلَبُ مِنَ اللهِ وَلٰكِنْ
تَلْتَمِسَ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُهَا
فَهَلُمُّنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ
لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ الْكَلَامِ فَاسْتَحْسَرَ
رَأْيَهَا وَجِئْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَطَانِ فَوَجَدْنَهُ
رَابِضًا فِي مَوْضِعِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ
مِمَّا هُنَّ فِيهِ فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا
أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَئِيسُنَا
فَأَجَابَهُنَّ السَّرَطَانُ قَائِلًا: وَعَلَيْكُنَّ السَّلَامُ
مَا الَّذِي بِكُنَّ وَمَا تُرِدْنَ فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ
قِصَّتَهُنَّ وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ الْمَاءِ وَ
أَنَّهُ مَتَى نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ ثُمَّ قُلْنَ
لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأْيَكَ وَمَا يَكُونُ

فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا فعند
ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال: لا شك أن
عندكن نقص عقل لما سكن من رحمة الله
تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعا ألم
تعلمن أن الله تعالى سبحانه يرزق عباده
بغير حساب وقد رازقهم قبل أن يخلق
شيئا من الأشياء وجعل لكل شخص عمرا
محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الإلهية
فكيف نحمل هم شيء هو في الغيب مسطور
والرأي عندي أنه لم يكن شيء أحسن من
الطلب من الله تعالى فينبغي أن كل واحد
منا يصلح سريرته مع نيته في سره وعلانيته
وندعو الله أن يجعل لنا مخرجا من الشدائد
لأن الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه
ولا يرد طالب من توسل إليه فإذا أصلحنا
أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير
ونعمة وإذا جاء الشتاء وشرعنا نسأل عليه

صَالِحِنَا فَلَا يَهْدِمُ الْخَيْرَ الَّذِي بَنَاهُ فَالرَّأْيُ أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ بِنَا فَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَوْتٌ عَلَى الْعَادَةِ إِسْتَرَحْنَا وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوجِبُ الْهَرَبَ هَرَبْنَا وَ رَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللهُ فَأَجَابَ السَّمَكُ جَمِيعُهُ مِنْ فَمٍ وَاحِدٍ صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرًا وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ إِلَى مَوْضِعِهِ فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَ أَتَاهُنَّ اللهُ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى تَلَأَّ مَحَلَّ الْغَدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا ـ

وَهَكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا يَائِسِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ وَحَيْثُ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَ عَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا وَأَنْ يُقِرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مِثْلَكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

ثُمَّ قَامَ وَزِيْرُ الثَّانِيْ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ فَاَجَابَهُ
الْمَلِكُ قَائِلاً: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ. فَقَالَ ذٰلِكَ الْوَزِيْرُ
اِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمّٰى مَلِكًا اِلَّا اِذَا اَعْطٰى وَعَدَلَ
حَكَمَ وَاَكْرَمَ وَاَحْسَنَ سِيْرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِاِقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوْفَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَاَنْصَفَ
بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَقَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْاَذٰى
عَنْهُمْ وَيَكُوْنُ مَوْصُوْفًا بِعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْ فُقَرَائِهِمْ
وَاِسْعَافِ اَعْلَاهُمْ وَاَدْنَاهُمْ وَاِعْطَائِهِمُ الْحَقَّ
الْوَاجِبَ لَهُمْ حَتّٰى يَصِيْرُوْا جَمِيْعًا دَاعِيْنَ لَهُ
مُمْتَثِلِيْنَ لِاَمْرِهِ لِاَنَّهُ لَا شَكَّ اَنَّ الْمَلِكَ الَّذِيْ
بِهٰذِهِ الصِّفَةِ مَحْبُوْبٌ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ
الدُّنْيَا عَلَاءَهَا وَمِنَ الْاٰخِرَةِ شَرَفَهَا وَرِضٰى
خَالِقِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الْعَبِيْدِ مُعْتَرِفُوْنَ لَكَ
اَيُّهَا الْمَلِكُ بِاَنَّ جَمِيْعَ مَا وَصَفْنَا عِنْدَكَ كَمَا قِيْلَ
خَيْرُ الْاُمُوْرِ اَنْ يَكُوْنَ مَلِكُ الرَّعِيَّةِ عَادِلاً
حَكِيْمُهَا مَاهِرًا وَعَالِمُهَا خَبِيْرًا عَامِلاً بِعِلْمِهِ
وَنَحْنُ الْاٰنَ مُتَنَعِّمُوْنَ بِهٰذِهِ السَّعَادَةِ وَكَ...

قَبْلَ ذٰلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي الْيَاسِ مِنْ حُصُوْلِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ جَلَّ اِسْمُهُ لَمْ يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاءَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيْمِ اَمْرِكَ إِلَيْهِ فَنِعْمَ الرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ وَقَدْ صَارَ فِيْكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : كَيْفَ ذٰلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ

حكاية الغراب والحية

فَقَالَ الْوَزِيْرُ : اِعْلَمْ اَيُّهَا الْمَلِكُ اَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي اَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى اَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيْخِهِمَا وَكَانَ زَمَنَ الْقَيْظِ . فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَتَعَلَّقَتْ بِفُرُوْعِهَا إِلَى اَنْ صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ الْغُرَابِ وَرَبَضَتْ فِيْهِ وَمَكَثَتْ مُدَّةَ اَيَّامِ الصَّيْفِ وَصَارَ الْغُرَابُ مَطْرُوْدًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيْهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ اَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتِ الْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَ الْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ نَشْكُرُ اللّٰهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا

وَخَلَّصَنَا مِنْ هٰذِهِ الْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرِمْنَا مِنَ
الزَّادِ فِي هٰذِهِ السَّنَةِ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ
رَجَاءَنَا فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا وَلَيْسَ لَنَا اتِّكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ
وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ وَعِشْنَا إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ عَوَّضَ
اللّٰهُ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيخِهِمَا
خَرَجَتِ الْحَيَّةُ مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتِ الشَّجَرَةَ
فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا وَهِيَ
قَاصِدَةٌ عُشَّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ وَإِذَا
بِحِدَأَةٍ قَدِ انْقَضَّتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَتْهَا فِي رَأْسِهَا
فَخَدَشَتْهَا فَعِنْدَ ذٰلِكَ سَقَطَتِ الْحَيَّةُ عَلَى
الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا وَطَلَعَ عَلَيْهَا النَّمْلُ فَأَكَلَهَا
وَصَارَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ
وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَا اللّٰهَ عَلَى سَلَامَتِهِمَا
وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ وَنَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَجِبُ
عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا
بِهٰذَا الْمَوْلُودِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ بَعْدَ الْيَأْسِ

وَقَطْعِ الرَّجَاءِ - اَحْسَنَ اللّٰهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ اَمْرِكَ -

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيْرُ الثَّالِثُ وَقَالَ: أَبْشِرْ اَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالثَّوَابِ الْآجِلِ لِاَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ اَهْلُ الْاَرْضِ تُحِبُّهُ اَهْلُ السَّمَاءِ وَاللّٰهُ تَعَالٰى قَسَمَ لَكَ الْمَحَبَّةَ وَجَعَلَهَا فِيْ قُلُوْبِ اَهْلِ مَمْلَكَتِكَ فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيْدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ وَاعْلَمْ اَيُّهَا الْمَلِكُ اَنَّ الْاِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيْعُ شَيْئًا اِلَّا بِاَمْرِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَاَنَّهُ هُوَ الْمُعْطِي - وَاَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ اِلَيْهِ يَنْتَهِي - قَسَمَ النِّعَمَ عَلٰى عَبِيْدِهٖ كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ اَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيْرَةً - وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيْلِ الْقُوْتِ - وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيْسًا - وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا - رَاغِبًا اِلَيْهِ - لِاَنَّهُ هُوَ الَّذِيْ قَالَ: اَنَا الضَّارُّ النَّافِعُ - اَشْفِيْ وَاُمْرِضُ - وَاُغْنِيْ وَاُفْقِرُ - وَاُمِيْتُ وَاُحْيِيْ -

وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ - وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنَ السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ - كَمَا قِيلَ: إِنَّ أَسْعَدَ الْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ اللّٰهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - وَيَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ اللّٰهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ وَمَنْ تَعَدَّى وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللّٰهُ لَهُ عَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ الْوَحْشِ وَالثَّعْلَبَ: قَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حَالُ يُشْبِهُمَا -

حِكَايَةُ حِمَارِ الْوَحْشِ وَالثَّعْلَبِ

قَالَ الْوَزِيرُ: إِعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ - وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ انْقَضَى - وَقَصَدَ الرُّجُوعَ - فَاجْتَمَعَ عَلَى ثَعْلَبٍ رَآهُ مَاشِيًا - وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا افْتَرَسَهُ - فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّنِي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ

جَائِعًا۔ وَكَانَ لِي ثَلٰثَةُ اَيَّامٍ مَا اَكَلْتُ۔ فَفَرِحْتُ بِذٰلِكَ وَشَكَرْتُ اللّٰهَ تَعَالٰى الَّذِي سَخَّرَهُ لِي۔ ثُمَّ اِنِّي عَمَدْتُ اِلٰى قَلْبِهِ فَاَكَلْتُهُ وَشَبِعْتُ۔ ثُمَّ رَجَعْتُ اِلٰى وَطَنِيْ وَمَضٰى عَلَيَّ ثَلٰثَةُ اَيَّامٍ لَمْ اَجِدْ شَيْئًا آكُلُهُ وَمَعَ ذٰلِكَ اَنَا شَبْعَانَ اِلَى الْآنِ۔ فَلَمَّا سَمِعَ الثَّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلٰى شَبْعِهِ۔ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَابُدَّ لِي مِنْ اَكْلِ قَلْبِ حِمَارِ الْوَحْشِ۔ فَتَرَكَ الْاَكْلَ اَيَّامًا۔ حَتّٰى انْهَزَلَ وَاَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصُرَ سَعْيُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَرَبَضَ فِي وَطَنِهِ۔ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطَنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْاَيَّامِ وَاِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ قَاصِدَيْنِ الصَّيْدَ فَوَقَعَ لَهُمَا حِمَارُ وَحْشٍ۔ فَاَقَامَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي اَثَرِهِ طَرْدًا۔ ثُمَّ اِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَاَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَقَتَلَهُ قُبَالَةَ وَكْرِ الثَّعْلَبِ الْمَذْكُورِ فَاَدْرَكَهُ الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا فَاَخْرَجَا السَّهْمَ الَّذِي اَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ۔ فَلَمْ يَخْرُجْ اِلَّا الْعُوْدُ وَبَقِيَ السَّهْمُ

مُشْغَبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ
خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ وَطْنِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ
الضُّعْفِ وَالْجُوْعِ فَرَأَى حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ
طَرِيحًا۔ فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيْدًا حَتَّى كَادَ اَنْ
يَطِيْرَ مِنَ الْفَرَحِ۔ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىْ
يَسَّرَ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِاَنِّيْ لَا اٰمُلُ
اَنِّي اُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ وَلَعَلَّ اللّٰهَ
اَوْقَعَ هٰذَا وَسَاقَهُ اِلَيَّ فِي مَوْضِعِي: ثُمَّ وَثَبَ
عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَاَدْخَلَ رَاْسَهُ۔ وَصَارَ
يَجُوْلُ بِفَمِهِ فِيْ اَمْعَائِهِ اِلَى اَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ
فَالْتَقَمَهُ بِفَمِهِ وَابْتَلَعَهُ۔ فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ
حَقْلِهِ اِشْتَبَكَ شُعَبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ رَقَبَتِهِ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى اِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى اِخْرَاجِهِ
مِنْ حَقْلِهِ وَاَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ۔ وَقَالَ حَقًّا لَا
يَنْبَغِي۔ لِمَخْلُوقٍ اَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ
اللّٰهُ لَهُ۔ لِاَنِّيْ لَوْ قَنِعْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللّٰهُ لِي لَمَا
صِرْتُ اِلَى الْهَلَاكِ۔

فَلِهٰذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ - يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللّٰهُ لَهُ وَيَشْكُرَ نِعْمَةَ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ - وَهَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللّٰهُ وَلَدًا بَعْدَ الْيَأْسِ - فَنَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ عُمْرًا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً - وَيَجْعَلَهُ خَلَفًا مُبَارَكًا مُوْفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طُوْلِ عُمْرِكَ -

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيْرُ الرَّابِعُ وَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فَهِيْمًا عَالِمًا بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ - مَعَ صَلَاحِ النِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ - وَتَوْقِيْرِ مَنْ يَجِبُ تَوْقِيْرُهُ - وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيْمَا لَا بُدَّ مِنْهُ - وَرِعَايَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمَرْؤُوسِيْنَ - وَ التَّخْفِيْفِ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ - وَصَوْنِ دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ - كَانَ حَقِيْقًا بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ - فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُعِيْدُهُ

مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَامُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَالْفَوْزِ بِعِنَايَتِهِ. وَلٰكِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. لِكَوْنِ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ. وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ الْمَلِكِ السَّائِحِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ.

حكاية ابن الملك السائح

فَقَالَ الْوَزِيرُ: اِعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَاخُذُ عُمَّالُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُبْقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ فَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ. فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ

الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا
لِلّٰهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللّٰهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِي
وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمُدُنَ - فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ - فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ
أَخَذُوهُ وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى
ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَتِيقٌ - فَنَزَعُوا
مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهَانَةِ
وَالتَّحْقِيرِ فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيْحَكُمْ
أَيُّهَا الظَّالِمُونَ - أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا
عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هٰذَا الثَّوْبِ - وَإِذَا لَمْ
تُعْطُوهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَوْتُكُمْ إِلَيْهِ -
فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّنَا فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ
فَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ : فَصَارَ السَّائِحُ
يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ
الدُّخُولَ - فَمَنَعَهُ الْحِجَابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ
مَالِي الْآنَ إِلَّا أَرْصُدُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ

حَالِي وَمَا اَصَابَنِي : فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَلِكِ - إِذَا سَمِعَ اَحَدَ الْاَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ - فَاَخَذَ يَتَقَدَّمُ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْبَابِ - فَمَا شَعَرَ اِلاَّ وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ السَّائِحُ وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ - وَاَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمُحَافِظِيْنَ وَشَكَا اِلَيْهِ حَالَهُ وَاَخْبَرَهُ اَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ اَهْلِ اللهِ رَفَضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا رِضَى اللهِ تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي الْاَرْضِ - وَكُلُّ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ اَحْسَنَ اِلَيْهِ بِمَا اَمْكَنَهُ - فَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِيْنَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ - ثُمَّ قَالَ : فَلَمَّا دَخَلْتُ هٰذِهِ الْمَدِيْنَةَ تَرَجَّيْتُ اَنْ يَفْعَلَ بِي اَهْلُهَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِغَيْرِي مِنَ السَّائِحِيْنَ فَعَارَضَنِي اَتْبَاعُكَ وَنَزَعُوْا مِنِّي اَثْوَابِي وَاَوْسَعُوْنِي ضَرْبًا - فَانْظُرْ فِي شَأْنِي وَخُذْ بِيَدِي وَخَلِّصْ لِي ثَوْبِي - وَاَنَا لَا اُقِيْمُ بِهٰذِهِ الْمَدِيْنَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً فَاَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلاً : مَنْ اَشَارَ عَلَيْكَ

بِدُخُولِكَ هٰذِهِ الْمَدِيْنَةِ - وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مَلِكُهَا: فَقَالَ: بَعْدَ اَنْ آخُذَ ثَوْبِي اِفْعَلْ بِيْ مُرَادَكَ -

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّائِحِ هٰذَا الْكَلَامَ - حَصَلَ عِنْدَهُ تَغَيُّرُ مِزَاجٍ فَقَالَ: اَيُّهَا الْجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ وَقَعَ مِنْكَ هٰذَا الصِّيَاحُ عِنْدِي - فَاَنَا اَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ اَمَرَ بِسِجْنِهٖ - فَلَمَّا دَخَلَ السِّجْنَ جَعَلَ يَنْدَمُ عَلٰى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْجَوَابِ وَعَنَّفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ ذٰلِكَ وَيَفُوزَ بِرُوحِهٖ - فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ قَامَ عَلٰى قَدَمَيْهِ وَصَلّٰى صَلَاةً مُطَوَّلَةً - وَقَالَ: يَا اللّٰهُ اِنَّكَ اَنْتَ الْحَكِيْمُ الْعَدْلُ - تَعْلَمُ بِحَالِيْ وَمَا انْطَوٰى عَلَيْهِ اَمْرِيْ مَعَ هٰذَا الْمَلِكِ الْجَائِرِ - وَاَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُوْمُ اَسْاَلُكَ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِكَ اَنْ تُنْقِذَنِيْ مِنْ يَدِ هٰذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهٖ نِقْمَتَكَ لِاَنَّكَ لَا تَغْفُلُ عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ - فَاِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ اَنَّهُ ظَلَمَنِيْ

فَاَحْلِلْ نَقْمَتَكَ عَلَيْہِ فِی هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَاَنْزِلْ بِہٖ
عَذَابَكَ لِاَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَاَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ
مَلْهُوْفٍ يَامَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعَظْمَةُ اِلٰی آخِرِ
الدَّهْرِ. فَلَمَّا سَمِعَ السَّجَّانُ دُعَاءَ هٰذَا الْمِسْكِيْنِ
صَارَ جَمِيْعُ مَا فِيْهِ مِنَ الْاَعْضَاءِ مَرْعُوْبًا ـ فَبَيْنَمَا
هُوَ كَذٰلِكَ وَ اِذَا بِنَارٍ اِتَّقَدَتْ فِی الْقَصْرِ الَّذِی
فِيْهِ الْمَلِكُ ـ وَ اَحْرَقَتْ جَمِيْعَ مَا فِيْهِ حَتّٰی بَابِ
السِّجْنِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَی السَّجَّانِ وَالسَّائِحِ
فَانْطَلَقَ السَّائِحُ وَهُوَ وَالسَّجَّانُ ـ وَلَمْ يَزَالَا

سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فإنها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها. وأما نحن أيها الملك السعيد. فما نمسي و نصبح إلا ونحن داعون وشاكرون الله تعالى فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك. وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفا من أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك. والآن قد أنعم الله بكرمه علينا وأزال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك. فنسأل الله تعالى أن يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم.

ثم قام الوزير الخامس وقال: تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فإذا تحققنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه. وأ[illegible] الملك السعيد

الإنصاف بين رعيتك بما يرضي الله تعالى فلأجل ذلك أعلى الله
شأنك وأسعد أيامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي
هي هذا الولد السعيد بعد اليأس. وصار لنا بذلك الفرح
الدائم والسرور الذي لا ينقطع لأننا قبل ذلك كنا في هم
شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك. وفي إفكار فيما أنت
منطو عليه من عدلك ولرأفتك بنا وخوفا أن يقضي الله عليك
بالموت. ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك.
فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصيبنا ما صار للغراب.
فقال الملك: وما حكاية الغراب:

حكاية الطيور والوحوش
مع ابن آدم

زعموا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان.
طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع
كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير أنه كثير الأشجار
والأنهار. وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة
من تلك الأشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان

في طلب الرزق نهاراً. ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما
فصارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان اليه. فبينما
هما يفتشان على موضع إذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة
الاشجار والانهار. فنزلا في تلك الجزيرة واكلا من
أثمارها وشربا من أنهارها. فبينما هما كذلك إذا ببطة
اقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تمشي حتى
اتت الى الشجرة التي عليها الطاوس هو وزوجته فاطمأنت
فلم يشك الطاوس في أن تلك البطة لها حكاية عجيبة
فسألها عن حالها وعن سبب خوفها. فقالت انني مريضة
من الحزن وخوفي من ابن آدم. فحذار حذار من بني آدم
فقال لها الطاوس لا تخافي حيث وصلت الينا. فقالت
البطة: الحمد لله الذي فرج همي وغمي بقربكما وقد أتيت
راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة
الطاوس وقالت لها اهلاً وسهلاً لا بأس عليك. ومن
اين يصل الينا ابن آدم ونحن في وسط البحر فمن البر
لا يقدر أن يصل الينا. ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا
فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من ابن آدم

فَقَالَتِ الْبَطَّةُ: إِعْلَمِي أَيَّتُهَا الطَّاوُوسَةُ إِنَّنِي فِي هٰذِهِ الْجَزِيْرَةِ طُوْلَ عُمْرِي آمِنَةٌ لَا أَرَى مَكْرُوْهًا. فَنِمْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَرَأَيْتُ صُوْرَةَ ابْنِ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأُخَاطِبُهُ وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُوْلُ لِي: أَيَّتُهَا الْبَطَّةُ: اِحْذَرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ وَلَا تَغْتَرِّي بِكَلَامِهِ. وَلَا بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْكِ. فَإِنَّهُ كَثِيْرُ الْحِيَلِ وَالْخِدَاعِ. فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ مَكْرِهِ، فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ، كَمَا قَالَ فِيْهِ الشَّاعِرُ:

يُعْطِيْكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
وَيَرُوْغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوْغُ الثَّعْلَبُ

وَاعْلَمِي أَنَّ ابْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى الْحِيْتَانِ فَيُخْرِجُهَا مِنَ الْبِحَارِ وَيَرْمِي الطَّيْرَ بِبُنْدُقَةٍ مِنْ طِيْنٍ وَيُوْقِعُ الْفِيْلَ بِمَكْرِهِ. وَابْنُ آدَمَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ وَلَا يَنْجُو مِنْهُ طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ. وَقَدْ بَلَّغْتُكِ مَا سَمِعْتُهُ عَنِ ابْنِ آدَمَ فَاسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوْبَةً. وَأَنَا إِلَى الْآنِ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنِ ابْنِ آدَمَ لِئَلَّا يَدْهَمَنِي بِحِيْلَتِهِ وَيَصِيْدَنِي بِحَبَائِلِهِ وَلَمْ أَزَلْ عَلَى

آخِرُ النَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي وَبَطَلَتْ هِمَّتِي. ثُمَّ إِنِّي اشْتَهَيْتُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ. فَخَرَجْتُ. أَتَمَشَّى وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شِبْلًا أَصْفَرَ اللَّوْنِ فَلَمَّا رَآنِي ذٰلِكَ الشِّبْلُ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي لَطِيفَةَ الذَّاتِ: فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: اُقْرُبِي مِنِّي. فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ لِي: مَا اسْمُكِ وَمَا جِنْسُكِ فَقُلْتُ لَهُ: إِسْمِي بَطَّةٌ وَأَنَا مِنْ جِنْسِ الطُّيُورِ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هٰذَا الْوَقْتِ فِي هٰذَا الْمَكَانِ. فَقَالَ الشِّبْلُ: سَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ وَالِدِي الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنِ ابْنِ آدَمَ. فَاتَّفَقَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فِي مَنَامِي صُورَةَ ابْنِ آدَمَ. ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكِ.

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ: إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ ابْنَ آدَمَ. فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا وَازْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَعَ إِنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ. وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي أُحَذِّرُ

الشِّبْلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَأُوْصِيهِ بِقَتْلِهِ. قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ،
مِنَ المَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَاءَهُ. فَمَا
بَرِحْنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَاءَهُ إِلَى
مَفْرِقِ الطَّرِيقِ. فَوَجَدْنَا غَبَرَةً طَارَتْ وَبَعْدَ ذَلِكَ انْكَشَفَتِ
الْغَبَرَةُ. فَبَانَ تَحْتَهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ وَهُوَ تَارَةً
يَقْمِصُ وَيَجْرِي. وَتَارَةً يَتَمَرَّغُ. فَلَمَّا رَآهُ الْأَسَدُ صَاحَ
عَلَيْهِ. فَأَتَى إِلَيْهِ خَاضِعًا فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْخَرِفُ
الْعَقْلِ. مَا جِنْسُكَ وَمَا سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ.
فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ أَنَا جِنْسِي حِمَارٌ وَسَبَبُ قُدُومِي
إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنِ ابْنِ آدَمَ. فَقَالَ لَهُ الشِّبْلُ، وَهَلْ
أَنْتَ خَائِفٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ لَا
يَا ابْنَ السُّلْطَانِ. وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكَبَنِي
لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرْذَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي
وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْحِزَامَ. فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
اللِّجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي. وَيَعْمَلُ لِي مِنْخَاسًا يَنْخُسُنِي بِهِ
وَيُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ الْجَرْيِ. فَإِذَا عَثَرْتُ لَعَنَنِي وَإِنْ
نَهَقْتُ شَتَمَنِي. وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبِرْتُ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى

الْجَرْيِ يَجْعَلُ لِي رَحْلاً مِنَ الْخَشَبِ فَيُسَلِّمُنِي إِلَى السَّقَّائِيْنَ فَيَحْمِلُوْنَ الْمَاءَ عَلَى ظَهْرِيْ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْقِرَبِ وَنَحْوِهَا كَالْجِرَارِ وَلَا أَزَالُ فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوْتَ فَيَرْمُوْنِي فَوْقَ التِّلَالِ لِلْكِلَابِ. فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الْهَمِّ وَ أَيُّ مُصِيْبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ.

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَيَّتُهَا الطَّاوُوْسَةُ كَلَامَ الْحِمَارِ اقْشَعَرَّ جَسَدِيْ مِنِ ابْنِ آدَمَ فَقُلْتُ لِلشِّبْلِ: يَا سَيِّدِيْ إِنَّ الْحِمَارَ مَعْذُوْرٌ. وَقَدْ زَادَنِيْ كَلَامُهُ رُعْبًا عَلَى رُعْبِيْ. فَقَالَ الشِّبْلُ لِلْحِمَارِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ؟ فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ: إِنِّيْ نَظَرْتُ ابْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَعِيْدٍ. فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ وَلَهَا أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَنْطَلِقَ وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِيْ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِيْ مِنْهُ لَعَلِّيْ أَجِدُ لِيْ مَوْضِعًا يَأْوِيْنِيْ مِنِ ابْنِ آدَمَ الْغَدَّارِ.

فَبَيْنَمَا ذَلِكَ الْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشِّبْلِ فِيْ ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يُوَدِّعَنَا وَيَرُوْحَ إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبَرَةٌ فَنَظَرَ الْحِمَارُ بِعَيْنِهِ إِلَى جِهَةِ الْغَبَرَةِ فَنَهَقَ وَصَاحَ وَ بَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ عَنْ فَرَسٍ أَدْهَمَ بِغُرَّةٍ كَالدِّرْهَمِ. وَذَلِكَ الْفَرَسُ ظَرِيْفُ الْغُرَّةِ مَلِيْحُ التَّحْجِيْلِ

حَسَنُ الْقَوَائِمِ وَالصَّهِيْلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ
يَدَيِ الشِّبْلِ ابْنِ الْأَسَدِ. فَلَمَّا رَآهُ الشِّبْلُ اسْتَعْظَمَهُ
وَقَالَ لَهُ: مَا جِنْسُكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْجَلِيْلُ. وَمَا سَبَبُ
شُرُوْدِكَ فِي هٰذَا الْبَرِّ الْعَرِيْضِ الطَّوِيْلِ، فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدَ
الْوُحُوْشِ. أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْخَيْلِ وَسَبَبُ شُرُوْدِي
هَرَبِي مِنِ ابْنِ آدَمَ فَتَعَجَّبَ الشِّبْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ
لَهُ: لَا تَقُلْ هٰذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ وَأَنْتَ طَوِيْلٌ
غَلِيْظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ جُثَّتِكَ. وَسُرْعَةِ
جَرْيِكَ. وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ
ابْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ وَآكُلَ لَحْمَهُ وَأُسَكِّنَ رَوْعَ هٰذِهِ
الْبَطَّةِ الْمِسْكِيْنَةِ وَأُقِرَّهَا فِي وَطَنِهَا وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ
فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا
أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عِظَمِكَ قَدْ قَهَرَكَ
ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طُوْلِكَ وَعَرْضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ
بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيْهِ كَأْسَ
الرَّدَى فَضَحِكَ الْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الشِّبْلِ وَقَالَ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ فَلَا يَغُرَّكَ طُوْلِي

ولا عرضي ولا ضخامتي ابن آدم. لأنه من شدة حيلته ومكره يصنع لي شيئا يقال له الشكال ويضع في أربع قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وأبقى واقفا أنا مصلوب لا أقدر أن أقعد ولا أنام. وإذا أراد أن يركبني يعمل لي شيئا في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيئا يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت إبطي ويضع في فمي شيئا من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيئا من الجلد يسميه الصرع فإذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم. فإذا كبرت ونحل ظهري ولم أقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون. فلا أزال دائرا فيها ليلا ونهارا إلى أن أهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلأ شحمي.

فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال

له: متى فارقت ابن آدم. قال فارقته نصف النهار وهو
في أثري. فبينما الشبل يتحدث مع الفرس بهذا الكلام إذا
بغبرة ثارت. وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من
تحتها جمل هائج وهو يثب ويخبط برجليه في الأرض ولم
يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا. فلما رآه الشبل كبيرا
غليظا ظن أنه ابن آدم فأراد الوثوب عليه. فقلت له:
يا ابن السلطان إن هذا ما هو ابن آدم وإنما هذا الجمل
وكأنه هارب من ابن آدم. فبينما أنا يا أختي مع الشبل في
هذا الكلام. وإذا بالجمل تقدم بين يدي الشبل وسلم عليه
فرد عليه السلام وقال له: ما سبب مجيئك في هذا المكان؟
قال: جئت هاربا من ابن آدم. فقال له الشبل: وأنت مع عظم
خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته
برجلك رفسة لقتلته. فقال له الجمل: يا ابن السلطان
اعلم أن ابن آدم له دواه لا تطاق وما يغلبه إلا الموت.
لأنه يضع في أنفي خيطا ويسميه خزاما ويجعل في رأسي
مقودا ويسلمني إلى أصغر أولاده فيجرني الولد الصغير
بالخيط مع كبري وعظمي ويحملوني أثقل الأحمال ويسافرون

فِي الأَسْفَارِ الطِّوَالِ وَيَسْتَعْمِلُونَنِي فِي الأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَإِذَا أَكْبَرْتُ وَشَخْتُ وَانْكَسَرْتُ فَلَا فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَبِيعُ جِلْدِي لِلدَّبَّاغِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أَتَأَسَّى مِنِ ابْنِ آدَمَ. فَقَالَ لَهُ الشِّبْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ: فَقَالَ، فَارَقْتُهُ وَقْتَ الْغُرُوبِ. وَأَظُنُّهُ يَأْتِي عِنْدَ الصَّبَاحِ فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلَبِي. فَدَعْنِي يَا ابْنَ السُّلْطَانِ حَتَّى أَهِيجَ فِي الْبَرَارِي وَالْقِفَارِ. فَقَالَ الشِّبْلُ: تَمَهَّلْ قَلِيلًا يَا جَمَلُ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأُهَشِّمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ. فَقَالَ لَهُ الْجَمَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ. أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنِ ابْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:-

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فَبَيْنَمَا الْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشِّبْلِ فِي هٰذَا الْكَلَامِ. وَ وَإِذَا بِغَبَرَةٍ طَلَعَتْ وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقِ الْبَشَرَةِ وَعَلَى كَتِفِهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ نَجَّارٍ وَعَلَى رَأْسِهِ

شُعْبَةً وَثَمَانِيَةُ أَلْوَاحٍ وَبِيَدِهِ أَثْقَالٌ صِغَارٌ وَهُوَ يَهُزُّ وَلُ
فِيْ مَشْيِهِ وَمَا زَالَ يَمْشِيْ حَتَّى قَرُبَ مِنَ الشِّبْلِ. فَلَمَّا
رَأَيْتُهُ يَا أُخْتِيْ. وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ. وَأَمَّا الشِّبْلُ
فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ
النَّجَّارُ فِيْ وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيْحٍ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيْلُ
صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيْلِ. أَسْعَدَ اللهُ مَسَاءَكَ وَمَسْعَاكَ.
وَزَادَ فِيْ شَجَاعَتِكَ وَقُوَّاكَ. أَجِرْنِيْ مِمَّا دَهَانِيْ. وَبِشَرِّهِ
رَمَانِيْ. لِأَنِّيْ مَا وَجَدْتُ لِيْ نَصِيْرًا غَيْرَكَ. ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ
وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ وَبَكَى. وَأَنَّ وَاشْتَكَى. فَلَمَّا
سَمِعَ الشِّبْلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ قَالَ لَهُ: أَجَرْتُكَ مِمَّا
تَخْشَاهُ. فَمَنِ الَّذِيْ قَدْ ظَلَمَكَ. وَمَا أَنْتَ وَمَنْ تَكُوْنُ أَيُّهَا
الْوَحْشُ. الَّذِيْ مَا رَأَيْتُ عُمْرِيْ مِثْلَكَ. وَلَا أَحْسَنَ
صُوْرَةً. وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ. فَمَا شَأْنُكَ. فَقَالَ
لَهُ النَّجَّارُ: يَا سَيِّدَ الْوُحُوْشِ: أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ وَأَمَّا
الَّذِيْ ظَلَمَنِيْ فَإِنَّهُ ابْنُ آدَمَ وَفِيْ صَبَاحِ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ
يَكُوْنُ عِنْدَكَ فِيْ هٰذَا الْمَكَانِ. فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ مِنَ
النَّجَّارِ هٰذَا الْكَلَامَ تَبَدَّلَ الضِّيَاءُ فِيْ وَجْهِهِ بِالظَّلَامِ.

فَشَخَرَ وَنَخَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِالشَّرَرِ. وَصَاحَ وَقَالَ:
وَاللهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ. وَلَا أَرْجِعُ
إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصَدِي. ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ الْتَفَتَ
إِلَى النَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَى خُطُوَاتِكَ قَصِيرَةً وَلَا
أَقْدِرُ أَنْ أُكَسِّرَ خَاطِرَكَ لِأَنِّي ذُو مُرُوَّةٍ وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ
أَنْ تُمَاشِيَ الْوُحُوشَ. فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. فَقَالَ لَهُ
النَّجَّارُ: اِعْلَمْ أَنَّنِي رَائِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ الْفَهْدِ لِأَنَّهُ لَمَّا
بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ دَاسَ هٰذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا
عَظِيمًا وَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا مِنَ الْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ
فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ
مِنْ بَنِي آدَمَ. فَلَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ أَخَذْتُ هٰذِهِ الْأَلْوَاحَ
وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ كَلَامَ النَّجَّارِ أَخَذَهُ الْحَسَدُ
لِلْفَهْدِ. فَقَالَ لَهُ: بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ الْأَلْوَاحَ
بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ. وَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي
فَامْضِ إِلَى الْفَهْدِ وَاصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ. فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَّارُ مِنَ
الشِّبْلِ هٰذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ مَا أَقْدِرُ أَنْ
أَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ. ثُمَّ أَجِيءُ

إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعَ لَكَ بَيْتاً يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ. فَقَالَ لَهُ الشِّبْلُ: وَاللهِ مَا أُخَلِّيكَ تَرُوحُ مِنْ هٰذَا الْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي مِنْ هٰذِهِ الْأَلْوَاحِ بَيْتاً. ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ هَمَّ عَلَى النَّجَّارِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ. وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى الْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ وَوَقَعَ النَّجَّارُ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ فَضَحِكَ الشِّبْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْذُورٌ إِذَا خِفْتَ مِنِ ابْنِ آدَمَ فَلَمَّا وَقَعَ النَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ اغْتَاظَ غَيْظاً شَدِيداً وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ ذٰلِكَ عَنِ الشِّبْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ. فَقَعَدَ النَّجَّارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ. ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ تَنَاوَلَ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ الْقَالِبِ عَلَى قِيَاسِ الشِّبْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحاً لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةً كَبِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيراً وَثَقَبَ فِيهِ ثُقَباً كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطَرَّفَةً وَقَالَ لِلشِّبْلِ: ادْخُلْ فِي هٰذَا الْبَيْتِ مِنْ هٰذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى أَقِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ الشِّبْلُ بِذٰلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَآهَا ضَيِّقَةً. فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: ادْخُلْ وَابْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ

وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ الشِّبْلُ ذٰلِكَ وَدَخَلَ الصُّنْدُوْقَ فَبَقِيَ
ذَنَبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ الشِّبْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى وَرَائِهِ
وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: أَمْهِلْ وَاصْبِرْ حَتّٰى أَنْظُرَ هَلْ يَسَعُ
ذَنَبُكَ مَعَكَ، فَامْتَثَلَ الشِّبْلُ أَمْرَهُ ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ لَفَّ ذَنَبَ
الشِّبْلِ وَحَشَاهُ فِي الصُّنْدُوْقِ وَرَدَّ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيْعًا
وَسَمَّرَهُ. فَصَاحَ الشِّبْلُ قَائِلًا: يَا نَجَّارُ مَا هٰذَا الْبَيْتُ الَّذِي
صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجُ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هٰذَا
الْمَكَانِ. ثُمَّ ضَحِكَ النَّجَّارُ وَقَالَ لِلشِّبْلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ
فِي الْقَفَصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضِيْقِ الْأَقْفَاصِ يَا
أَخْبَثَ الْوُحُوْشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هٰذَا الْخِطَابُ الَّذِي
تُخَاطِبُنِيْ بِهِ: فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: اِعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ
إِنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدَرُ
وَلَمْ يَنْفَعْكَ الْحَذَرُ. فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ كَلَامَهُ يَا أُخْتِيْ
عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَّرَهُ مِنْهُ أَبُوْهُ فِي الْيَقْظَةِ وَ
الْهَاتِفُ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ
وَخِفْتُ مِنْهُ عَلٰى نَفْسِيْ خَوْفًا عَظِيْمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيْلًا

وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشِّبْلِ فَرَأَيْتُ يَا أُخْتِي ابْنَ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي فِيهِ الشِّبْلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْحَطَبَ وَأَحْرَقَتْ بِالنَّارِ فَكَانَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ ـ

فَلَمَّا سَمِعَتِ الطَّاوُوسَةُ مِنَ الْبَطَّةِ هٰذَا الْكَلَامَ تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةَ الْعَجَبِ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي ـ إِنَّكِ آمِنَةٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ لِأَنَّنَا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ ـ لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلَكٌ . فَاخْتَارِي الْمُقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ اللّٰهُ أَمْرَكِ وَأَمْرَنَا ؛ قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ ـ وَالْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ آبِقٌ ـ فَقَالَتْ : أُقْعُدِي عِنْدَنَا ـ وَأَنْتِ مِثْلُنَا ـ وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي وَلَوْلَا إِنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ : فَقَالَتِ الطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا ـ وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا ـ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا الْكَلَامِ إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبَرَةٌ فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَاحَتِ الْبَطَّةُ وَنَزَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَقَالَتْ ـ

اَلْحَذَرَ الْحَذَرَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَفَرٌّ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ. فَبَعْدَ
سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبْيٌ. فَاطْمَأَنَّتِ
الْبَطَّةُ وَالطَّاوُوسَةُ ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ: يَا أُخْتِيْ إِنَّ الَّذِيْ
بَصُرْتِ وَحَذِرْتِ مِنْهُ ظَبْيٌ وَهَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا. فَلَيْسَ
عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ لِأَنَّ الظَّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ الْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ
الْأَرْضِ. وَكَمَا أَنْتِ مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ هُوَ الْآخَرُ مِنْ جِنْسِ
الْوُحُوْشِ. فَاطْمَئِنِّيْ وَلَا تَهْتَمِّيْ فَإِنَّ الْهَمَّ يُنْحِلُ الْبَدَنَ.
فَلَمْ تُتِمَّ الطَّاوُوْسَةُ كَلَامَهَا حَتّٰى وَصَلَ الظَّبْيُ إِلَيْهِمَا
يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَلَمَّا رَأَى الطَّاوُوْسَةَ وَالْبَطَّةَ
سَلَّمَ عَلَيْهِمَا. وَقَالَ لَهُمَا: إِنِّيْ دَخَلْتُ إِلٰى هٰذِهِ الْجَزِيْرَةِ
الْيَوْمَ فَلَمْ أَرَ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكَنًا.
ثُمَّ دَعَاهُمَا لِمُرَافَقَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ. فَلَمَّا رَأَتِ الْبَطَّةُ
وَالطَّاوُوْسَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِيْ
عِشْرَتِهِ. فَتَصَادَقُوْا وَتَحَالَفُوْا عَلٰى ذٰلِكَ وَصَارَ مَبِيْتُهُمْ
وَاحِدًا وَمَأْكَلُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ سَوَاءً. وَلَمْ يَزَالُوْا آمِنِيْنَ
آكِلِيْنَ شَارِبِيْنَ حَتّٰى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِيْنَةٌ كَانَتْ تَائِهَةً
فِي الْبَحْرِ. فَأَرْسَتْ قَرِيْبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوْا

الْجَزِيْرَةِ فَرَأَوْا اجْتِمَاعَ الظَّبْيِ وَالطَّاوُوْسَةِ وَالْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوْا عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَتْهُمُ الطَّاوُوْسَةُ صَعِدَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوِّ وَشَرَدَ الظَّبْيُ فِي الْبَرِّيَّةِ فَبَقِيَتِ الْبَطَّةُ مُتَحَيِّرَةً. وَلَمْ يَزَالُوْا بِهَا حَتَّى صَادُوْهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً: لَمْ يَنْفَعْنِي الْحَذَرُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَانْصَرَفُوْا بِهَا إِلَى سَفِيْنَتِهِمْ. فَلَمَّا رَأَتِ الطَّاوُوْسَةُ مَا جَرَى الْبَطَّةِ إِرْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيْرَةِ وَقَالَتْ: لَا أَرَى الْآفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هٰذِهِ السَّفِيْنَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هٰذِهِ الْبَطَّةِ إِفْتِرَاقٌ. وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ: ثُمَّ طَارَتِ الطَّاوُوْسَةُ وَاجْتَمَعَتْ بِالظَّبْيِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّاهَا بِالسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ الْبَطَّةِ: فَقَالَتْ لَهُ: أَخَذَهَا الْعَدُوُّ وَكَرِهْتُ الْمُقَامَ فِي تِلْكَ الْجَزِيْرَةِ بَعْدَهَا. ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ تَقُوْلُ:

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِيْ   قَطَّعَ اللّٰهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هٰذَا الْبَيْتَ

تَمَنَّيْتُ الْوِصَالَ يَعُوْدُ يَوْمًا   لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ

فَاغْتَمَّ الظَّبْيُ غَمًّا شَدِيْدًا وَرَدَّ عَزْمَ البَطَّةِ عَنِ الرَّحِيْلِ فَأَقَامَتْ مَعَ الظَّبْيِ آمِنَيْنِ آكِلَيْنِ شَارِبَيْنِ غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا حَزِيْنَيْنِ عَلَى فِرَاقِ البَطَّةِ. فَقَالَ الظَّبْيُ لِلبَطَّةِ: يَا أُخْتِي، قَدْ عَلِمْتِ أَنَّ النَّاسَ الَّذِيْنَ طَلَعُوْا لَنَا مِنَ المَرْكَبِ سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ البَطَّةِ فَاحْذَرِيْهِمْ وَاحْتَرِسِيْ مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِيْ آدَمَ وَخِدَاعِهِ. قَالَتْ: قَدْ عَلِمْتُ يَقِيْنًا أَنْ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا التَّسْبِيْحَ وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا: إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكِ مِنْ تَرْكِكِ التَّسْبِيْحَ عُوْقِبَ بِهَلَاكِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ الظَّبْيُ كَلَامَ البَطَّةِ قَالَ: أَحْسَنَ اللهُ صُوْرَتَكِ وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيْحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً. قَدْ قِيْلَ: إِنَّ تَسْبِيْحَ الظَّبْيِ: سُبْحَانَ الدَّيَّانِ ذِي الجَبَرُوْتِ وَالسُّلْطَانِ.

حِكَايَةُ الطُّيُوْرِ

زَعَمُوْا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُوْرِ طَارَ وَعَلَا إِلَى الجَوِّ. ثُمَّ ثُمَّ انْقَضَّ عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسْطِ المَاءِ وَكَانَ المَاءُ جَارِيًا. فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَاقِفٌ إِذَا هُوَ بِرِمَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا المَاءُ

حَتّٰى اَسْنَدَهَا اِلٰى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدِ انْتَفَخَتْ وَارْتَفَعَتْ فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَتَامَّلَهَا فَرَاٰهَا رِمَّةَ ابْنِ اٰدَمَ فَوَجَدَ فِيْهَا ضَرْبَ سُيُوْفٍ وَطَعْنَ رِمَاحٍ. فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِيْ نَفْسِهٖ: اَظُنُّ اَنَّ هٰذَا الْمَقْتُوْلَ كَانَ شِرِّيْرًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَتَلُوْهُ وَاسْتَرَاحُوْا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهٖ. وَلَمْ يَزَلْ طَيْرُ الْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ اِذَا بِنُسُوْرٍ وَعِقْبَانٍ اَحَاطُوْا بِتِلْكَ الْجِيْفَةِ مِنْ جَمِيْعِ جَوَانِبِهَا. فَلَمَّا رَاٰى ذٰلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيْدًا وَقَالَ: لَا صَبْرَ لِيْ عَلَى الْاِقَامَةِ فِيْ هٰذَا الْمَكَانِ. ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفَتِّشُ عَلٰى مَوْضِعٍ يَاْوِيْهِ اِلٰى حِيْنِ تَنْفَدُ تِلْكَ الْجِيْفَةُ وَتَرْجِعُ سِبَاعُ الطُّيُوْرِ عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتّٰى وَجَدَ نَهْرًا فِيْ وَسَطِهٖ شَجَرَةٌ. فَنَزَلَ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا كَئِيْبًا حَزِيْنًا عَلٰى فِرَاقِ وَطَنِهٖ وَقَالَ فِيْ نَفْسِهٖ: مَا زَالَتِ الْاَحْزَانُ تَتْبَعُنِيْ وَكُنْتُ قَدِ اسْتَرَحْتُ لَمَّا رَاَيْتُ تِلْكَ الْجِيْفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيْدًا وَقُلْتُ: هٰذَا رِزْقٌ سَاقَهُ اللّٰهُ اِلَيَّ. فَصَارَ فَرَحِيْ غَمًّا وَسُرُوْرِيْ حُزْنًا وَهَمًّا فَاَخَذَتْهَا وَافْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ الطُّيُوْرِ مِنِّيْ وَحَالُوْا بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا. فَكَيْفَ اَرْجُوْ اَنْ اَكُوْنَ

سَالِمًا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَدَرِ وَاطْمَئَنَّ إِلَيْهَا وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ: اَلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيْرَتِهِ وَلَمْ يَزَلِ الْمُغْتَرُّ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَحْتَالُ فَوْقَ الْأَرْضِ حَتّٰى يَصِيْرَ تَحْتَهَا وَيَحْتُو عَلَيْهِ التُّرَابَ أَعَزُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ. وَمَا لِلْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلٰى هُمُوْمِهَا وَمَكَارِهِهَا. وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِيْ وَوَطَنِيْ وَكُنْتُ كَارِهًا بِفُرْقَةِ إِخْوَانِيْ وَأَحِبَّائِيْ وَخُلَّانِيْ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ السَّلَاحِفِ أَقْبَلَ مُنْحَدِرًا فِي الْمَاءِ وَدَنَا مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا سَيِّدِيْ مَا الَّذِيْ حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ قَالَ: حُلُوْلُ الْأَعْدَاءِ فِيْهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلٰى مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ:

إِذَا حَلَّ الثَّقِيْلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَمَا لِلسَّاكِنِيْنَ سِوَى الرَّحِيْلِ

فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَالْحَالُ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ. فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أُفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِيْ بِخِدْمَتِكَ. فَإِنَّهُ: لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيْبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَطَنِهِ

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فُرْقَةَ الصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصَائِبِ. وَأَحْسَنُ مَا يُسَلِّي بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الِاسْتِئْنَاسُ فِي الْغُرْبَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزِيئَةِ وَالْكُرْبَةِ. وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ وَأَكُونَ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ الْمَاءِ مَقَالَةَ الْغَيْلَمِ قَالَ لَهُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ. وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ أَلَمًا وَغَمًّا مُدَّةَ بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَّانِي. لِأَنَّ فِي الْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ. وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَنْ يُسَلِّيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْخَيْرُ أَبَدًا وَيَتْبَعُ الشَّرُّ سَرْمَدًا. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا التَّسَلِّي بِالْإِخْوَانِ عَنِ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. وَمُلَازَمَةُ الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ. فَإِنَّهُمَا خَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ يُعِينَانِ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ. وَيَنْفِيَانِ الْفَزَعَ وَالْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ. فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ: إِيَّاكَ وَالْجَزَعَ. فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَيْشَكَ. وَيُذْهِبُ مُرُوءَتَكَ: وَمَا زَالَا يَتَحَدَّثَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ الْمَاءِ لِلْغَيْلَمِ: إِنَّنِي لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ الْحِدْثَانِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْغَيْلَمُ مَقَالَهُ

طَيْرِ الْمَاءِ اَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُ: لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ الْخَيْرَ فَكَيْفَ تَحْمِلُ الْهَمَّ وَالضَّيْرَ. وَلَمْ يَزَلْ يُسَكِّنُ رَوْعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتّٰى اطْمَانَّ. ثُمَّ اِنَّ طَيْرَ الْمَاءِ طَارَ اِلٰى مَكَانِ الْجِيفَةِ: فَلَمَّا وَصَلَ اِلَيْهِ لَمْ يَرَ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا. وَلَا مِنْ تِلْكَ الْجِيفَةِ اِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَاَخْبَرَ الْغَيْلَمَ بِزَوَالِ الْعَدُوِّ مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ: اِعْلَمْ اِنِّي اُحِبُّ الرُّجُوعَ اِلٰى مَكَانِي لِاَتَمَلّٰى بِخُلَّانِي. فَاِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلٰى فِرَاقِ وَطَنِهِ. فَاَتَيَا اِلٰى ذٰلِكَ الْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا يَخَافَانِ مِنْهُ فَاَنْشَدَ طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتٰى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللّٰهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا

فُرِجَتْ وَكُنْتُ اَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثُمَّ اِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَبَيْنَهَا طَيْرُ الْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ. اِذْ سَاقَ الْقَضَاءُ اِلَيْهِ بَازِيًا جَائِعًا فَضَرَبَهُ بِمِخْلَبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً فَقَتَلَهُ وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الْحَذَرُ عِنْدَ فَرَاغِ الْاَجَلِ. وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ

عَنِ التَّسْبِيْحِ. قِيْلَ اِنَّ تَسْبِيْحَهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِيْ مَا قَدْ رَوَدَ بِرٍّ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِيْ مَا اَغْنَى وَاَفْقَرَ هٰذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيْثِ طَيْرِ الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطُّيُوْرِ.

الدُّرَّاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيْرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ اَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِيْ جَزِيْرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ وَكَانَتْ تِلْكَ الْجَزِيْرَةُ ذَاتَ اَشْجَارٍ وَاَثْمَارٍ وَاَنْهَارٍ فَاتَّفَقَ اَنَّ دُرَّاجًا اجْتَازَ بِهَا يَوْمًا وَقَدْ اَصَابَهُ الْحَرُّ وَالتَّعَبُ. فَلَمَّا اَضَرَّ بِهِ ذٰلِكَ حَطَّ مِنْ طَيَرَانِهِ فِيْ تِلْكَ الْجَزِيْرَةِ الَّتِيْ بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ. فَلَمَّا رَاَى السَّلَاحِفَ اِلْتَجَاَ اِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا وَكَانَتِ السَّلَاحِفُ تَرْعٰى فِيْ جِهَاتِ الْجَزِيْرَةِ ثُمَّ تَرْجِعُ اِلٰى مَكَانِهَا فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا اِلٰى مَكَانِهَا رَاَتِ الدُّرَّاجَ فِيْهِ. فَلَمَّا رَاَتْهُ اَعْجَبَهَا وَزَيَّنَهُ اللّٰهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا وَاَحَبَّتْ هٰذَا الدُّرَّاجَ حُبًّا شَدِيْدًا وَفَرِحَتْ بِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ بِلَا شَكٍّ اَنَّ هٰذَا مِنْ اَحْسَنِ الطُّيُوْرِ فَصَارَتْ كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَتَجْنَحُ اِلَيْهِ فَلَمَّا رَاَى مِنْهَا عَيْنَ الْمَحَبَّةِ

مَالَ إِلَيْهَا وَاسْتَأْنَسَ بِهَا. وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَبِيتِ عِنْدَهَا. فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هٰذِهِ عَادَتَهُ. وَاسْتَمَرَّ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. فَلَمَّا رَأَتِ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ قَالَ بَعْضُهَا: إِنَّ هٰذَا الدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ، فَمَا يَكُونُ مِنَ الْحِيلَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا دَائِمًا. لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ وَلَا نَرَاهُ فِي اللَّيْلِ. فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً، اِسْتَرِحْنَ يَا أَخَوَاتِي وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقُنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ: إِنْ فَعَلْتِ ذٰلِكَ كُنَّا لَكِ كُلُّنَا عَبِيدًا.

فَلَمَّا حَضَرَ الدُّرَّاجُ مِنْ مَسْرَحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهَا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ السُّلَحْفَاةُ الْمُحْتَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَّأَتْهُ بِالسَّلَامَةِ وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي اِعْلَمْ أَنَّ قَدْ رَزَقَكَ مِنَّا الْمَحَبَّةَ وَكَذٰلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا وَصِرْتَ لَنَا فِي هٰذَا

الفقر آنيسًا وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق. ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد تعد إلينا إلا عند الغروب فيصيبنا عند ذلك نافحشة زائدة. وقد شق علينا ذلك كثيرًا ونحن في وجل عظيم بهذا السبب. فقال لها الدراج: نعم أنا عندي محبة لكن واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن ونراقكن ليس سهلًا عندي. لكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيرًا بأجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائمًا لأن هذا ليس من طبيعي. فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقر إلا في الليل لأجل النوم وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه. فقالت له السلحفاة: صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة له لكونه لا ينال من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والألفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك

فَتَهْلِكُ وَنُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَتِكَ وَجْهَكَ :

فَأَجَابَهَا الدُّرَّاجُ قَائِلًا: صَدَقْتِ . وَلٰكِنْ مَا عِنْدَكِ مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ فِي أَمْرِي . فَقَالَتْ لَهُ: اَلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتِفَ سَوَاعِدَكَ الَّتِي تُسْرِعُ بِطَيَرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحًا وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ شُرْبِنَا فِي هٰذِهِ الْمَسْرَحَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ الْيَانِعَةِ الْأَثْمَارِ وَنُقِيمُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ الْمُخْصِبِ وَيَتَمَتَّعُ كُلٌّ مِنَّا بِصَاحِبِهِ . فَمَالَ الدُّرَّاجُ إِلَىٰ قَوْلِهَا وَقَصَدَ الرَّاحَةَ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ نَتَفَ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حُكْمَ مَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلَحْفَاءِ وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ وَالطَّرَبِ الزَّائِلِ :

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالَةِ إِذَا بِابْنِ عِرْسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ فَرَآهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ . فَلَمَّا رَآهُ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هٰذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عِرْسٍ وَافْتَرَسَهُ . فَصَاحَ

الدُّرَّاجُ وَطَلَبَ النَّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِفِ فَلَمْ يَنْجُدْنَهُ بَلْ تَبَاعَدْنَ عَنْهُ وَانْكَمَشْنَ فِي بَعْضِهِنَّ. لَمَّا رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ قَابِضًا عَلَيْهِ وَحِينَ رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ يُعَذِّبُهُ خَنَقَهُنَّ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُنَّ الدُّرَّاجُ: هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ الْبُكَاءِ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَخَانَا لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ابْنِ عِرْسٍ. فَحَزِنَ الدُّرَّاجُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ. وَقَالَ لَهُنَّ: لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ وَنَتَفْتُ أَجْنِحَتِي الَّتِي أَطِيرُ بِهَا. فَأَنَا أَسْتَحِقُّ الْهَلَاكَ لِطَاعَتِي لَكُنَّ وَلَا أَلُومُكُنَّ فِي شَيْءٍ.

اَلثَّعَالِبُ وَالذِّئْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحَكُّمِهِ. فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارَ:

زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الثَّعَالِبِ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا يَأْكُلُونَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَلَبِ ذَلِكَ. إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: قَدْ وَجَدْنَا

مَا نَعِيْشُ بِهٖ زَمَانًا طَوِيْلًا۔ وَلٰكِنْ نَخَافُ اَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلٰى بَعْضٍ۔ وَيَمِيْلَ الْقَوِيُّ بِقُوَّتِهٖ عَلَى الضَّعِيْفِ۔ فَيَهْلِكُ الضَّعِيْفُ مِنَّا۔ فَيَنْبَغِيْ لَنَا اَنْ نَطْلُبَ حَكَمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ لَهٗ نَصِيْبًا فَلَا يَكُوْنُ لِلْقَوِيِّ سُلْطَةٌ عَلَى الضَّعِيْفِ۔

فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُوْنَ فِيْ شَاْنِ ذٰلِكَ وَاِذِ ابْنُ ذِئْبٍ اَقْبَلَ عَلَيْهِمْ۔ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اِنْ اَصَابَ رَأْيُكُمْ فَاجْعَلُوْا هٰذَا الذِّئْبَ حَكَمًا بَيْنَنَا لِاَنَّهٗ اَقْوَى النَّاسِ وَاَبُوْهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَرْجُوْا مِنَ اللّٰهِ اَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا۔ ثُمَّ اِنَّهُمْ تَوَجَّهُوْا اِلَيْهِ وَاَخْبَرُوْهُ بِمَا صَارَ اِلَيْهِ رَاْيُهُمْ وَقَالُوْا: لَقَدْ حَكَّمْنَاكَ بَيْنَنَا لِاَجْلِ اَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوْتُهٗ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ عَلٰى قَدْرِ حَاجَتِهٖ لِئَلَّا يَبْغِيَ قَوِيُّنَا عَلٰى ضَعِيْفِنَا فَيُهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا فَاَجَابَهُمُ الذِّئْبُ اِلٰى تَوَلِّيْهِمْ وَتَعَاطِيْ اُمُوْرِهِمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِيْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ۔ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذِّئْبُ فِيْ نَفْسِهٖ: اِنَّ قِسْمَةَ هٰذَا الْحِمْلِ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ الْعَاجِزِيْنَ لَا يَعُوْدُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ اِلَّا الْجُزْءُ الَّذِيْ جَعَلُوْهُ لِيْ۔ وَاِنْ اَكَلْتُهٗ وَحْدِيْ فَهُمْ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ

لِي ضَرَرًا مَعَ اَنَّهُمْ غَنَمٌ لِي وَلِاَهْلِ بَيْتِي فَمَنِ الَّذِي يَمْنَعُنِي
اَنْ آخُذَ هٰذَا لِنَفْسِي۔ وَلَعَلَّ اللهَ مُسَبِّبُهُ لِي بِغَيْرِ حِيْلَةٍ
مِنْهُمْ۔ فَالْاَحْسَنُ لِي اَنْ اَخْتَصَّ بِهِ دُوْنَهُمْ وَمِنْ هٰذَا
الْوَقْتِ لَا اُعْطِيهِمْ شَيْئًا فَلَمَّا اَصْبَحَ الثَّعَالِبُ جَاؤُا اِلَيْهِ
عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُوْنَ مِنْهُ قُوْتَهُمْ فَقَالُوْا لَهُ: يَا اَبَا سِرْحَانَ
اَعْطِنَا قُوْتَنَا يَوْمِنَا۔ فَاَجَابَهُمْ قَائِلًا: مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ
اُعْطِيهِ لَكُمْ۔ فَذَهَبُوْا مِنْ عِنْدِهٖ عَلٰى اَسْوَاءِ حَالٍ ثُمَّ
قَالُوْا: اِنَّ اللهَ اَوْقَعَنَا فِي هَمٍّ عَظِيمٍ مَعَ هٰذَا الْخَائِنِ
الْخَبِيْثِ الَّذِي لَا يَتَّقِي اللهَ وَلَا يَخَافُهُ وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ
وَلَا قُوَّةٌ۔ ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اِنَّمَا حَمَلَهُ عَلٰى
هٰذَا الْاَمْرِ ضَرُوْرَةُ الْجُوْعِ۔ فَدَعُوْهُ الْيَوْمَ يَاكُلُ مِنْهُ
حَتّٰى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ اِلَيْهِ۔ فَلَمَّا اَصْبَحُوْا تَوَجَّهُوْا
اِلَيْهِ وَقَالُوْا لَهُ: يَا اَبَا سِرْحَانَ اِنَّمَا وَلَّيْنَا عَلَيْنَا
لِاَجْلِ اَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوْتَهُ وَتُنْصِفَ الضَّعِيفَ
مِنَ الْقَوِيِّ۔ وَاِذَا فَرَغَ تَجْتَهِدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهٖ وَنَصِيرُ
دَائِمًا تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوْعُ وَلَنَا يَوْمَانِ
مَا اَكَلْنَا فَاَعْطِنَا مُؤْنَتَنَا وَاَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا

جَمِيعِ الْاَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعُيُوبِ. يَا رَبِّ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تُسْئَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ فَهٰذَا الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِالرَّوَائِحِ اللَّطِيفَةِ وَالْمَآكِلِ اللَّذِيذَةِ وَالْمَشَارِبِ الْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَقَدْ حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ. فَمِنْهُمْ تَعْبَانٌ وَمِنْهُمْ مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالذُّلِّ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ	يُنَعَّمُ فِي خَيْرِ فَيْءٍ وَظِلٍّ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ	وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حِمْلِي

وَغَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَقْوَةٍ وَمَا حَمَلَ الدَّهْرُ يَوْمًا كَحَمْلِي
يُنَعَّمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشُرْبٍ وَأَكْلِ
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَمِثْلِي
وَلَكِنَّ شَتَّانَ مَا بَيْنَنَا وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلِّ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ افْتِرَاءً فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلِ

فَلَمَّا فَرَغَ السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ حَمْلَتَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ السِّنِّ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِيحُ الْقَدِّ فَاخِرُ الْمَلَابِسِ. فَقَبَضَ عَلَى يَدِ الْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: أُدْخُلْ كَلِّمْ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ. فَأَرَادَ الْحَمَّالُ الْاِمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ. فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَشْمُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْأَطْعِمَةِ النَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ السَّمَاعِ وَالطَّرَبِ وَمِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحِسَانِ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى حَسَبِ

التَّرْتِيْبِ. وَفِي صَدْرِ ذَالِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيْمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ لَكَزَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهَا وَهُوَ مَلِيْحُ الصُّوْرَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَ عَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِخَارٌ. فَعِنْدَ ذَالِكَ بُهِتَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ. وَاللّٰهِ إِنَّ هٰذَا الْمَكَانَ مِنْ بُقَعِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُوْنُ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ، ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَوَقَفَ هُوَ مُنَكِّسُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ. فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوْسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرَحِّبُ بِهِ. ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمُفْتَخِرِ الطَّيِّبِ النَّفِيْسِ. فَتَقَدَّمَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَسَمَّى وَأَكَلَ اكْتَفَى وَشَبِعَ وَقَالَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَالِكَ فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ. مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ فَمَا يَكُوْنُ اِسْمُكَ. وَمَا تُعَانِيْ مِنَ الصَّنَائِعِ. فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِيْ اِسْمِيَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى رَاسِيْ أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأُجْرَةِ. فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَ قَالَ لَهُ: اِعْلَمْ يَا حَمَّالُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِيْ. فَأَنَا

السِّنْدْبَادُ الْبَحْرِيُّ وَلٰكِنْ يَا حَمَّالُ قَصْدِي أَنْ تُسْمِعَنِي الْأَبْيَاتَ الَّتِي كُنْتَ يُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ. فَاسْتَحْيَ الْحَمَّالُ وَقَالَ لَهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهِ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْتَحِ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدِ الْأَبْيَاتَ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ فَأَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الْأَبْيَاتَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ لَهُ: يَا حَمَّالُ اعْلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِلَ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ هٰذِهِ السَّعَادَةَ وَهٰذَا الْمَكَانَ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. وَقَدْ سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفْرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُحَيِّرُ الْفِكْرَ

السَّفْرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسِّنْدَبَادِ الْبَحْرِي

اِعْلَمُوْا يَا سَادَةً يَا كِرَامُ اَنَّهُ كَانَ لِي اَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ
مِنْ اَكَابِرِ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيْرٌ وَ
نَوَالٌ جَزِيْلٌ وَقَدْ مَاتَ وَاَنَا وَلَدٌ صَغِيْرٌ وَخَلَّفَ لِي مَالًا
وَعَقَارًا وَضِيَاعًا. فَلَمَّا كَبُرْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى الْجَمِيْعِ
وَقَدْ اَكَلْتُ اَكْلًا مَلِيْحًا وَشَرِبْتُ شُرْبًا مَلِيْحًا وَعَاشَرْتُ
الشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلُبْسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ الْخُلَّانِ
وَالْاَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ اَنَّ ذٰلِكَ يَدُوْمُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ
اَزَلْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَاَفَقْتُ مِنْ غَفْلَتِي
ثُمَّ اِنِّي رَجَعْتُ اِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ
حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيْعُ مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ اَسْتَفِقْ لِنَفْسِي
اِلَّا وَاَنَا مَرْعُوْبٌ مَدْهُوْشٌ وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةً كُنْتُ
اِسْمَعُهَا سَابِقًا مِنْ اَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ بْنِ
دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلٰثَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلٰثَةٍ:
يَوْمُ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ الْوِلَادَةِ. وَكَلْبٌ حَيٌّ خَيْرٌ مِنْ
سَبُعٍ مَيِّتٍ. وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ. ثُمَّ اِنِّي قُمْتُ وَ
جَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارٍ وَمَلْبُوْسٍ وَبِعْتُهُ ثُمَّ

بِعْتُ عَقَارِي وَجَمِيعَ مَا تَمَلَّكَتْ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلٰثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِبَالِي السَّفَرُ اِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ حَيْثُ قَالَ:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ الْعُلٰى سَهِرَ اللَّيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِيْ ... وَيَحْظٰى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلٰى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ

فَاشْتَاقَتْ نَفْسِي اِلَى السَّفَرِ وَالتِّجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَاشْتَرَيْتُ لِي بَضَائِعَ نَفِيسَةً فَاخِرَةً تَصْلُحُ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُوْلِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِيْنَةِ بَغْدَادَ اِلٰى مَدِيْنَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيْهِ تُجَّارٌ وَأَكَابِرُ وَمَعَهُمْ بَضَائِعُ نَفِيسَةٌ فَنَزَلْتُ حُمُوْلِي مَعَهُمْ فِي هٰذَا الْمَرْكَبِ وَسِرْنَا بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِيْنَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِيْنَ مِنْ مَكَانٍ اِلٰى مَكَانٍ وَمِنْ مَدِيْنَةٍ وَنَحْنُ نَبِيْعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَفَرَّجُ عَلٰى بِلَادِ النَّاسِ. وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعْدُ وَالسَّفَرُ وَاغْتَنَمْنَا الْمَعَاشَ اِلٰى اَنْ كُنَّا سَائِرِيْنَ يَوْمًا مِنَ الْاَيَّامِ وَاِذَا بِرَئِيْسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ وَصَاحَ وَرَمٰى عِمَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلٰى وَجْهِهِ وَنَتَفَ لِحْيَتَهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ

وَالْقَهْرِ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التُّجَّارِ وَالرُّكَّابِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا رَئِيسُ مَا الْخَبَرُ: فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ: اِعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تِهْنَا بِمَرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقَيِّضِ اللهُ لَنَا شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا بِأَجْمَعِنَا لَا مَحَالَةَ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ. ثُمَّ إِنَّ الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ الْقُلُوعَ فَقَوِيَ الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخَّرِهَا فَانْكَسَرَتْ دَفَّتُهَا قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ: فَنَزَلَ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَقْدُورَ. وَاللهِ إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ: فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفَرَاغِ أَعْمَارِهِمْ وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ عَلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَاحُهَا. فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذٰلِكَ الْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ: وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذٰلِكَ الْجَبَلَ وَإِذَا

فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَاكِبِ الْمُكَسَّرَةِ۔ وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنَ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا۔ وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُحَيِّرُ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعْتُ أَعْلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَ مَشَيْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذٰلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ الْجَانِبِ الثَّانِي فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهِلَتْ عُقُولُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ الْمَجَانِينِ مِنْ كَثْرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْيَوَاقِيتِ وَاللَّآلِئِ الْكِبَارِ الْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الْحَصَى فِي مَجَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغِيطَانِ وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْعُودِ الْقَمَارِيِّ۔ وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صِنْفِ الْعَنْبَرِ الْخَامِ وَهُوَ

يَسِيْلُ مِثْلَ الشَّمَعِ عَلٰى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ
الشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلٰى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَيَطْلَعُ الْهَوَايِشُ مِنَ الْبَحْرِ
تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهٖ فِي الْبَحْرِ فَيَحْمِيْ فِيْ بُطُوْنِهَا فَتَقْذِفُهُ مِنْ
اَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَجْمُدُ عَلٰى وَجْهِ الْمَاءِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ
يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَاَحْوَالُهُ فَتَقْذِفُهُ الْاَمْوَاجُ اِلٰى جَانِبِ
الْبَحْرِ فَيَاْخُذُهُ السَّيَّاحُوْنَ وَالتُّجَّارُ الَّذِيْنَ يَعْرِفُوْنَهُ
فَيَبِيْعُوْنَهُ۔ وَاَمَّا الْعَنْبَرُ الْخَالِصُ مِنَ الْبَلْعِ فَاِنَّهُ
يَسِيْلُ عَلٰى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَتَجَمَّدُ بِاَرْضِهٖ فَاِذَا
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَسِيْحُ وَتَبْقٰى مِنْهُ رَائِحَةُ ذٰلِكَ الْوَادِيْ
كُلِّهٖ مِثْلَ الْمِسْكِ۔ وَاِذَا زَالَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ يَجْمُدُ وَذٰلِكَ
الْمَكَانُ الَّذِيْ فِيْهِ هٰذَا الْعَنْبَرُ الْخَامُ لَا يَقْدِرُ اَحَدٌ
عَلٰى دُخُوْلِهٖ وَلَا يَسْتَطِيْعُ سُلُوْكَهُ۔ فَاِنَّ الْجَبَلَ مُحِيْطٌ
بِتِلْكَ الْجَزِيْرَةِ وَلَا يَقْدِرُ اَحَدٌ عَلٰى صُعُوْدِ ذٰلِكَ الْجَبَلِ
وَلَمْ نَزَلْ دَائِرِيْنَ فِيْ تِلْكَ الْجَزِيْرَةِ نَتَفَرَّجُ عَلٰى مَا
خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالٰى فِيْهَا مِنَ الْاَرْزَاقِ وَنَحْنُ مُتَحَيِّرُوْنَ
فِيْ اَمْرِنَا وَفِيْمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيْدٌ۔ وَقَدْ
جَمَعْنَا عَلٰى جَانِبِ الْجَزِيْرَةِ شَيْئًا قَلِيْلًا مِنَ الزَّادِ

فَصِرْنَا نُنَوِّرُهُ وَنَاكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اَوْ يَوْمَيْنِ اَكْلَةً
وَاحِدَةً وَنَحْنُ خَائِفُوْنَ اَنْ يَفْرَغَ الزَّادُ مِنَّا فَنَمُوْتَ
كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا
نُغَسِّلُهُ وَنُكَفِّنُهُ فِيْ ثِيَابٍ وَقُمَاشٍ مِنَ الَّذِيْ يَطْرَحُهُ
الْبَحْرُ عَلٰى جَانِبِ الْجَزِيْرَةِ حَتّٰى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيْرٌ وَلَمْ
يَبْقَ مِنَّا اِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيْلَةٌ. فَضَعُفْنَا بِوَجَعِ الْبَطْنِ
مِنَ الْبَحْرِ وَاَقَمْنَا مُدَّةً قَلِيْلَةً فَمَاتَ جَمِيْعُ اَصْحَابِيْ
وَرُفَقَائِيْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ
نَدْفِنُهُ. وَبَقِيْتُ فِيْ تِلْكَ الْجَزِيْرَةِ وَحْدِيْ وَبَقِيَ مَعِيْ
زَادٌ قَلِيْلٌ بَعْدَ اَنْ كَانَ كَثِيْرًا فَبَكَيْتُ عَلٰى نَفْسِيْ وَ
قُلْتُ: يَا لَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ رُفَقَائِيْ وَكَانُوْا غَسَّلُوْنِيْ وَ
دَفَنُوْنِيْ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ. ثُمَّ
اِنِّيْ اَقَمْتُ مُدَّةً يَسِيْرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِيْ حُفْرَةً
عَمِيْقَةً فِيْ جَانِبِ تِلْكَ الْجَزِيْرَةِ وَقُلْتُ فِيْ نَفْسِيْ اِذَا
ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ اَنَّ الْمَوْتَ قَدْ اَتَانِيْ اَرْقُدُ فِيْ هٰذَا
الْقَبْرِ فَاَمُوْتُ فِيْهِ وَيَبْقَى الرِّيْحُ يَسْفِيْ الرَّمْلَ عَلَيَّ
فَيُغَطِّيْنِيْ وَاَصِيْرُ مَدْفُوْنًا فِيْهِ. وَصِرْتُ اَلُوْمُ نَفْسِيْ عَلٰى

قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ بِلَادِي وَمَدِينَتِي وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا. وَلَا سَفْرَةً مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأُقَاسِي أَهْوَالًا وَشَدَائِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أُصَدِّقُ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ وَالَّذِي عِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ: وَاللّٰهِ لَابُدَّ أَنَّ هٰذَا النَّهْرَ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَابُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعُمَارِ. وَالرَّأْيُ السَّدِيدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ لِي فُلْكًا صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هٰذَا النَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلُصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هٰذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصِّينِيِّ وَالْقَمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ حِبَالِ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَجِئْتُ بِأَلْوَاحٍ مُتَسَاوِيَةٍ مِنْ أَلْوَاحِ

لمراكب ووضعتها في ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر او اقل من عرضه وشددته شداً وثيقاً مكيناً - وقد اخذت معي من تلك المعادن والجواهر والاموال واللؤلؤ الكبير الذي مثل الحصى وغير ذلك من الذي في تلك الجزيرة وشيئاً من العنبر الخام الخالص الطيب ووضعته في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة واخذت معي جميع ما كان باقياً من الزاد - ثم اني القيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاديف وعملت بقول بعض الشعراء -

تَرَحَّلْ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ ... وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا

فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضاً بِأَرْضٍ ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْساً سِوَاهَا

وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي ... فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي انْتِهَاهَا

وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ... فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا

وسار بي ذلك الفلك في النهر وانا متفكر فيما يصير اليه امري - ولم ازل سائراً الى المكان الذي يدخل

فِيهِ النَّهرُ تَحتَ ذٰلِكَ الجَبَلِ وَدَخَلَتِ الفُلْكُ فِي ذٰلِكَ المَكَانِ
وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيْدَةٍ تَحْتَ الجَبَلِ. وَلَمْ يَزَلِ
الفُلْكُ دَاخِلًا بِي مَعَ المَاءِ إِلَى ضِيْقٍ تَحْتَ الجَبَلِ وَصَارَتْ
جَوَانِبُ الفُلْكِ تَحُكُّ فِي جَوَانِبِ النَّهرِ وَرَأْسِي يَحُكُّ فِي
سَقْفِ النَّهرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنِّي أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لُمْتُ
نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ: إِنْ ضَاقَ المَكَانُ
عَلَى الفُلْكِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلِكُ
فِي المَكَانِ كَمَدًا لَا مَحَالَةَ وَقَدِ انْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي
فِي الفُلْكِ مِنْ ضِيْقِ النَّهرِ. وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا
مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذٰلِكَ الجَبَلِ
مَعَ الفَزَعِ وَالخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنَ الهَلَاكِ. وَلَمْ أَزَلْ عَلَى
هٰذِهِ الحَالَةِ سَائِرًا فِي ذٰلِكَ النَّهرِ وَهُوَ يَتَّسِعُ تَارَةً وَ
يَضِيقُ أُخْرَى. وَلٰكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتْعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيْدًا
فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي
فِي الفُلْكِ وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ
وَلَا قَلِيلٍ ثُمَّ إِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي النُّورِ
فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذٰلِكَ الفُلْكُ مَرْبُوطٌ

عَلٰى جَزِيْرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْهُنُوْدِ وَالْحَبَشَةِ. فَلَمَّا رَاَوْنِي قُمْتُ نَهَضُوْا اِلَيَّ وَكَلَّمُوْنِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ اَعْرِفْ مَا يَقُوْلُوْنَ. وَبَقِيْتُ اَظُنُّ اَنَّهٗ حُلْمٌ وَاَنَّ هٰذَا فِي الْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيْهِ مِنَ الضِّيْقِ وَالْقَهْرِ. فَلَمَّا كَلَّمُوْنِي وَلَمْ اَعْرِفْ حَدِيْثَهُمْ وَلَمْ اَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا. تَقَدَّمَ اِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِيْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ: اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا اَخَانَا مَنْ تَكُوْنُ اَنْتَ وَمِنْ اَيْنَ جِئْتَ. وَمَا سَبَبُ مَجِيْئِكَ اِلٰى هٰذَا الْمَكَانِ وَمِنْ اَيْنَ دَخَلْتَ فِي هٰذَا الْمَاءِ. وَاَيُّ بِلَادٍ خَلْفَ هٰذَا الْجَبَلِ لِاَنَّنَا لَا نَعْلَمُ اَنَّ اَحَدًا اَسْلَكَ مِنْ هُنَاكَ اِلَيْنَا فَقُلْتُ لَهٗ: مَنْ تَكُوْنُوْنَ اَنْتُمْ وَاَيُّ اَرْضٍ هٰذِهٖ: فَقَالَ لِيْ: يَا اَخِيْ نَحْنُ اَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغِيْطَانِ وَجِئْنَا لِنَسْقِيَ غِيْطَانَنَا وَزَرْعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفُلْكِ فَاَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتّٰى تَقُوْمَ عَلٰى مَهْلِكَ. فَاَخْبِرْنَا مَا سَبَبُ وُصُوْلِكَ اِلٰى هٰذَا الْمَكَانِ. فَقُلْتُ لَهٗ: بِاللّٰهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِيْ اِئْتِنِيْ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ فَاِنِّيْ جَائِعٌ وَبَعْدَ ذٰلِكَ اِسْاَلْنِيْ عَمَّا تُرِيْدُ فَاَسْرَعَ وَاَتَانِيْ بِالطَّعَامِ فَاَكَلْتُ حَتّٰى شَبِعْتُ وَارْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِيْ وَازْدَادَ شَبْعِيْ وَرُدَّتْ

لِي رُوحِي. فَحَمِدْتُ اللهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ بِخُرُوجِي
مِنْ ذٰلِكَ النَّهْرِ وَوُصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذٰلِكَ النَّهْرِ وَضِيقِهِ
ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا لَا بُدَّ أَنَّنَا نَأْخُذُهُ
مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا لِيُخْبِرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ. قُلْتُ:
فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِي الْفُلْكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ
الْمَالِ وَالنَّوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِ. وَقَدْ
أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى. فَسَلَّمَ عَلَيَّ
وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا اتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ
فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَاقَيْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ
إِلَى آخِرِهِ. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هٰذِهِ الْحِكَايَةِ غَايَةَ
الْعَجَبِ وَهَنَّأَنِي بِالسَّلَامَةِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ قُمْتُ وَطَلَعْتُ
مِنْ ذٰلِكَ الْفُلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوْهَرِ الْعُودِ
وَالْعَنْبَرِ الْخَامِ وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَ
أَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ
صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ
لَا أُفَارِقُ دَارَ الْمَلِكِ. وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ

يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأُخْبِرُهُمْ بِهَا. وَكَذٰلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي: وَاللهِ إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي أَنْ أُجَهِّزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأُرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ: فَقُلْتُ: سَمْعًا وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أُوصِلُهَا إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَ ذٰلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هٰؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ. فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي وَسَاعَتِي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذٰلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنَّ مُرَادِيَ السَّفَرُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي اشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي. فَقَالَ لِيَ الْمَلِكُ الرَّأْيُ

لَكَ وَاِنْ شِئْتَ الْاِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَ الْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا اُنْسُكَ - فَقُلْتُ: وَاللّٰهِ يَا سَيِّدِيْ قَدْ غَمَرَ شَيْءٌ بِجَمِيْلِكَ وَاِحْسَانِكَ وَلٰكِنِّيْ قَدِ اشْتَقْتُ اِلٰى اَهْلِيْ وَبِلَادِيْ وَعِيَالِيْ فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِيْ اَحْضَرَ التُّجَّارَ الَّذِيْنَ جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَاَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِيْ شَيْئًا كَثِيْرًا مِنْ عِنْدِهٖ وَ دَفَعَ عَنِّيْ اُجْرَةَ الْمَرْكَبِ وَاَرْسَلَ مَعِيْ هَدِيَّةً عَظِيْمَةً اِلَى الْخَلِيْفَةِ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ بِمَدِيْنَةِ بَغْدَادَ - ثُمَّ اِنِّيْ وَدَّعْتُ جَمِيْعَ اَصْحَابِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُ اَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ - ثُمَّ نَزَلْتُ ذٰلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التُّجَّارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيْحُ وَالسَّفَرُ وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالٰى - وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِيْنَ مِنْ بَحْرٍ اِلٰى بَحْرٍ وَ مِنْ جَزِيْرَةٍ اِلٰى جَزِيْرَةٍ اِلٰى اَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِاِذْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِلٰى مَدِيْنَةِ الْبَصْرَةِ فَطَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ اَزَلْ مُقِيْمًا بِاَرْضِ الْبَصْرَةِ اَيَّامًا وَلَيَالِيَ حَتّٰى جَهَّزْتُ نَفْسِيْ وَحَمَّلْتُ حُمُوْلِيْ وَتَوَجَّهْتُ اِلٰى مَدِيْنَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيْفَةِ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ وَقَدَّمْتُ اِلَيْهِ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَاَخْبَرْتُهٗ بِجَمِيْعِ اَمْوَالِيْ وَاَمْتِعَتِيْ وَدَخَلْتُ

جَارِيَتِي وَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا اسْمًا وَلَا طَرِيقًا. وَلٰكِنْ لَمَّا غَرِقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي السَّفْرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذٰلِكَ النَّهْرِ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِ الْهَدِيَّةِ فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذٰلِكَ غَايَةَ الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي خَزَائِنِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَآهَا:

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعُبَّادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ. وَكَانَ يَأْوِي إِلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ الْحَمَامِ. وَكَانَ ذٰلِكَ الْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوْتَهُ نِصْفَيْنِ. وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ.

وَنِصْفَهُ لِذٰلِكَ الزَّوْجِ الْحَمَامِ - وَدَعَا الْعَابِدُ لَهُمَا بِكَثْرَةِ النَّسْلِ فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا. وَلَمْ يَكُنِ الْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْعَابِدُ - وَكَانَ السَّبَبُ فِي اجْتِمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَابِدِ كَثْرَةَ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ - وَقِيلَ: إِنَّ الْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ: سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ - وَقَاسِمِ الرِّزْقِ - وَبَانِي السَّمٰوٰتِ: وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ: وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ الزَّوْجُ الْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتّٰى مَاتَ الْعَابِدُ - فَتَشَتَّتَ شَمْلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرٰى وَالْجِبَالِ:

حِكَايَةُ الرَّاعِي الْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ، وَكَانَ صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ - وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَافِهَا وَكَانَ ذٰلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّاعِي كَثِيرَ الْأَشْجَارِ وَالْمَرْعٰى وَالسِّبَاعِ - وَلَمْ يَكُنْ لِتِلْكَ الْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى الرَّاعِي وَلَا عَلٰى غَنَمِهِ - وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي الْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يُهِمُّهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا لِسَعَادَتِهِ وَلِإِقْبَالِهِ عَلٰى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ

فقدّر الله انه مرض مرضاً شديداً فدخل العابد في كهف الجبل. وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف وكان قريباً من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه. فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: إن بالقرب منك في مكان كذا رجلاً صالحاً. فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره. فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائراً. فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة. فاذا هو بوحوش وطيور أتت الى تلك العين لتشرب منها. فلما رأت العابد جالساً نفرت منه ورجعت وشردت فقال العابد: لا حول ولا قوة الا بالله. اني لم استرح هنا الا ضرراً على هذه الوحوش والطيور. فقام وقال معاتباً لنفسه لقد اضرّ بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان. فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سبباً لشرودها عن شربها وعن رزقها ومرعاها. فوا خجلتي

مِنْ رَبِّیْ یَوْمَ یَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ: ثُمَّ بَکٰی وَاَنْشَدَ یَقُوْلُ هٰذِهِ الْاَبْیَاتِ

اَمَا وَاللّٰهِ لَوْ عَلِمَ الْاَنَامُ	لِمَا خُلِقُوْا لَمَا غَفَلُوْا وَنَامُوْا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ	وَتَوْبِیْخٌ وَاَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ اِذَا انْتَهَیْنَا اَوْ اُمِرْنَا	کَاَهْلِ الْکَهْفِ اِیْقَاظٌ نِیَامُ

ثُمَّ بَکٰی عَلٰی جُلُوْسِهٖ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَیْنِ وَمَنْعِهِ الطُّیُوْرَ وَالْوُحُوْشَ مِنْ شُرْبِهَا. وَوَلّٰی سَائِحًا عَلٰی وَجْهِهٖ حَتّٰی اَتٰی اِلَی الرَّاعِیْ فَدَخَلَ اِلَیْهِ وَسَلَّمَ عَلَیْهِ فَرَدَّ عَلَیْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهٗ وَبَکٰی. فَقَالَ لَهُ الرَّاعِیْ: مَا الَّذِیْ اَتٰی بِكَ اِلٰی هٰذَا الْمَکَانِ الَّذِیْ لَمْ یَدْخُلْهُ اَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَیَّ فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: اِنِّیْ رَاَیْتُ فِیْ مَنَامِیْ مَنْ یَصِفُ لِیْ مَکَانَكَ وَیَامُرُنِیْ اَنْ اَسِیْرَ اِلَیْكَ وَاُسَلِّمَ عَلَیْكَ فَاَتَیْتُكَ مُمْتَثِلًا لِمَا اُمِرْتُ بِهٖ. فَقَبِلَهُ الرَّاعِیْ وَطَابَتْ نَفْسُهٗ بِصُحْبَتِهٖ وَجَلَسَ مَعَهٗ فِی الْجَبَلِ یَعْبُدَانِ اللّٰهَ فِیْ ذٰلِكَ الْغَارِ فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ یَزَالَا فِیْ ذٰلِكَ الْمَکَانِ یَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَیَتَقَوَّتَانِ مِنْ لُحُوْمِ الْغَنَمِ وَاَلْبَانِهَا مُتَجَرِّدَیْنِ الْمَالِ وَالْبَنِیْنَ اِلٰی اَنْ اَتَاهُمَا الْیَقِیْنُ

وَهٰذَا آخِرُ حَدِيْثِهِمَا:

فِيْ جُوْدِ مَعَنَ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَىٰ فِي الْجُوْدِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ ابْنُ أَبِيْ حَفْصَةَ الشَّاعِرُ قَالَ أَخْبَرَنِيْ مَعَنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلِّ بِلَادَ الْيَمَنِ أَنَّ الْمَنْصُوْرَ وَجَّهَ فِيْ طَلَبِيْ وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِيْ إِلَيْهِ مَالًا (قَالَ) فَاضْطُرِرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَىٰ أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتّٰى تَوَحَّتْ وَجْهِيْ وَخَفَّفْتُ عَارِضِيْ وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوْفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأُقِيْمَ بِهَا (قَالَ) فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ تَبِعَنِيْ أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتّٰى إِذَا غِبْتُ عَنِ الْحَرَسِ قَبَضَ عَلٰى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاخَهُ وَقَبَضَ عَلٰى يَدِيْ فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا بِكَ: قَالَ: أَنْتَ طَلَبُ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ. فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنَا حَتّٰى أُطْلَبَ: فَقَالَ: أَنْتَ مَعَنُ بْنُ زَائِدَةَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هٰذَا اتَّقِ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعَنٍ. فَقَالَ: دَعْ هٰذَا فَإِنِّيْ لَأَعْرَفُ بِكَ مِنْكَ. فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّ قُلْتُ لَهُ

هٰذا عِقْدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِي بِأَضْعَافِ مَا لِيَجْعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يُجِيْبُهُ بِيْ. فَخُذْهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا لِسَفْكِ دَمِي قَالَ: هَاتِهِ. فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيْهِ سَاعَةً وَقَالَ: صَدَقْتَ فِيْ قِيْمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتّٰى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِيْ أَطْلَقْتُكَ. فَقُلْتُ: قُلْ. قَالَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوْكَ بِالْجُوْدِ فَأَخْبِرْنِيْ هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَنِصْفَهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَثُلُثَهُ. قُلْتُ: لَا حَتّٰى بَلَغَ الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنِّيْ قَدْ فَعَلْتُ هٰذَا. قَالَ: وَمَا ذَاكَ بِعَظِيْمٍ. وَأَنَا رَجُلٌ وَرِزْقِيْ مِنْ أَبِيْ جَعْفَرَ الْمَنْصُوْرِ كُلَّ شَهْرٍ عِشْرُوْنَ دِرْهَمًا وَهٰذَا الْجَوْهَرُ قِيْمَتُهُ أُلُوْفُ دَنَانِيْرَ وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُوْدِكَ الْمَأْثُوْرِ بَيْنَ النَّاسِ. وَلِتَعْلَمَ أَنَّ فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ فَلَا تُعْجِبْكَ نَفْسُكَ وَلْتَحْقِرْ بَعْدَ هٰذَا كُلَّ جُوْدٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفْ عَنْ مَكْرُمَةٍ. ثُمَّ رَمَى الْعِقْدَ فِيْ حِجْرِيْ وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلّٰى مُنْصَرِفًا. فَقُلْتُ يَا هٰذَا الْقَدْ فَضَحْتَنِيْ وَلَسَفْكُ دَمِيْ عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ فَإِنِّيْ غَنِيٌّ عَنْهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَرَدْتَ

أَنْ تَكُنْ بَغِيٌّ فِي مَقَالِي هٰذَا - وَاللّٰهِ لَا آخُذُ ثَمَنَهُ وَلَا آخُذُ
بِالْمَعْرُوفِ ثَمَنًا أَبَدًا - وَمَضَى لِسَبِيلِهِ. ثُمَّ طَلَبْتُهُ
ثَمَنًا أَبَدًا - وَمَضَى لِسَبِيلِهِ. ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ
وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَجِيءُ بِهِ مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبَرًا۔

(ثَمَرَاتُ الْأَوْرَاقِ لِلْحَمَوِي)

اَلْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَصَدْتُ فِي بَعْضِ أَيَّامٍ رَجُلًا كُنْتُ
آتِيهِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً لِكَرَمِهِ وَجُودِهِ: فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ
عَلَى بَابِهِ بَوَّابًا فَمَنَعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي: وَاللّٰهِ
يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَوْقَفَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعَ مِثْلَكَ إِلَّا لِرِقَّةِ حَالِهِ
وَقُصُورِ يَدِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ - فَقُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ
أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقْعَةً أَنْتَ تُوصِلُهَا إِلَيْهِ - فَقَالَ - سَمْعًا وَ
طَاعَةً - فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ
وَكَتَبْتُ لَهُ شِعْرًا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ ۝ فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ

ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ:
أَوْصِلْ هٰذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَيْهِ - فَفَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقْعَةِ

قَلِيْلاً. ثُمَّ عَادَ إِلَى الرُّقْعَةِ فَعَلِمَ عَلَيْهَا وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيْمُ قَلِيْلَ مَالٍ   تَحَجَّبَ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيْمِ

وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّةٌ فِيْهَا خَمْسُمِائَةِ دِيْنَارٍ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ قِلَّةِ مَا بِيَدِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ لَا تُحِفْتَهَا دُوْنَ الرَّشِيْدِ بِهَذَا الْخَبَرِ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَاسْتَأْذَنْتُ دَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِيُّ. قُلْتُ: مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ. قُلْ فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقْعَةَ وَالصُّرَّةَ وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ. فَلَمَّا رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ: هٰذِهٖ مِنْ بَيْتِ مَالِيْ وَلَابُدَّ لِيْ مِنَ الرَّجُلِ. فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنِّيْ أَسْتَحْيِيْ أَنْ أَكُوْنَ سَبَبَ رَوْعِهِ بِإِرْسَالِكَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: لَا يَغُمَّكَ ذٰلِكَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ خَاصَّتِهٖ وَقَالَ لَهُ: اِمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَادْخُلْ وَقُلْ لِصَاحِبِهِ: أَجِبْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلْيَكُنْ دُعَاؤُكَ لَهُ بِلُطْفٍ فِيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُزْعِجَهُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ

وَ دَخَلَ عَلَى اَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ. فَقَالَ لَهُ
هَارُوْنُ الرَّشِيْدُ أَلَسْتَ اَنْتَ الَّذِيْ وَقَفْتَ لَنَا بِالْاَمْسِ وَ
شَكَوْتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ فِيْ ضِيْقٍ شَدِيْدٍ مِنَ الْاِحْتِيَاجِ
فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هٰذِهِ الصُّرَّةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ
وَقَدْ قَصَدَ لَكَ الْاَصْمَعِيُّ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ فَدَفَعْتَهَا لَهُ.
فَقَالَ: نَعَمْ يَا اَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاللّٰهِ مَا كَذَبْتُ فِيْ مَا شَكَوْتُهُ
لِاَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ رِقَّةِ حَالِيْ وَشِدَّةِ احْتِيَاجِيْ وَلٰكِنِّيْ
اِسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى اَنْ اُعِيْدَ قَاصِدِيْ اِلَّا كَمَا اَعَادَنِيْ
اَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ. فَقَالَ هَارُوْنُ الرَّشِيْدُ: لِلّٰهِ دَرُّ بَطْنٍ
اَتَاكَ فَمَا وَلَدَتِ الْعَرَبُ اَكْرَمَ مِنْكَ. ثُمَّ بَالَغَ بِاِكْرَامِهِ
وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ.

اَلْحَيَّةُ وَالْاِنْسَانُ

ذُكِرَ اَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْاَكْيَاسِ طَلَبَ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ
وَلَازَمَ اِنْقِطَاعَهُ وَانْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَاشْتَغَلَ
لِاِقَامَةِ اَوَدِهِ بِالزِّرَاعَةِ. وَالْعَزَلُ فِيْ ذَيْلِ جَبَلٍ. وَصَاحَبَ
حَيَّةً كَانَتْ تَانَسُ اِلَيْهِ بِكَلَامِهِ. وَتَاْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ

طَعَامِهٖ فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا الْمُعَاهَدَةُ إِلَى اَنْ بَلَغَتْ إِلَى الْمُعَاقَدَةِ۔ بِاَنْ تَكُوْنَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ الْمُعَاذِقَةِ وَلَا تَكُوْنَ كَصُحْبَةِ اَبْنَاءِ الزَّمَانِ۔ تَكْرَعُ مِنَ الْغَدْرِ فِيْ غُدْرَانٍ۔ وَلَا مَشُوْبَةً بِنِفَاقٍ۔ وَلَا مَدْخُوْلَةً بِرِئَاءٍ وَ شِقَاقٍ وَاَنْ تَنْعَقِدَ بَيْنَهُمَا الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ۔ فِيْ حَالَتَيِ الشِّدَّةِ وَ الرَّخَاءِ فَمَرَّ اعَلٰى هٰذَا الْمُدَّةَ وَكُلٌّ حَافِظٌ عَهْدَهٗ مُرَاعٍ صُحْبَتَهٗ وَوُدَّهٗ۔ وَكَانَ الرَّجُلُ اِذَا عَنَّتْ لَهٗ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى الْحَيَّةِ وَاسْتَشَارَهَا وَاَخَذَ اَخْبَارَهَا۔ وَتَخْرُجُ هِيَ اِلَيْهِ۔ وَتَتَرَامٰى عَلٰى رِجْلَيْهِ۔ فَفِيْ بَعْضِ الْاَيَّامِ وَعَامٍ مِنَ الْاَعْوَامِ۔ وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيْدٌ۔ وَثَلْجٌ وَجَلِيْدٌ۔ فَرَاَى الْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا۔ وَخَمَدَتْ اَعْضَاهَا۔ وَوَقَعَتْ فِيْ شَرِّ حَالٍ۔ وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ۔ فَحَمَلَتْهُ الشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِيْ اَحْكَمَا وَثَاقَهٗ عَلٰى اَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِيْ مِخْلَاةِ حِمَارِهٖ وَاَدْنَاهَا وَوَضَعَ الْمِخْلَاةَ فِيْ رَاسِ الْبَهِيْمِ وَتَوَجَّهَ لِضَرُوْرَةِ ذٰلِكَ الْفَهِيْمِ فَحَسَّتِ الْحَيَّةُ بِنَفْسِ اِبْنِ زِيَادٍ وَتَحَرَّكَ عِرْقُ الْعِنَادِ وَاِنِ الْقَدِيْمِ وَعَادَ۔ وَنَعَلَ وَخُبْثَهَا خَاصِيَّتَهُ الْمَالُوْفَةَ۔ وَلَعِبَ سُمُّهَا سُمِّيَّتَهُ الْمَعْرُوْفَةَ

مُتَّبِعًا حَدِيْثَهُ. حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْخَبِيْثَةِ. اَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتّٰى تُسِيْءَ اِلٰى مَنْ اَحْسَنَ اِلَيْهَا. فَعَضَّتِ الْحَيَّةُ شَفَةَ الْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا. وَهَرَبَتِ الْحَيَّةُ اِلٰى جُحْرِهَا. وَاِنَّمَا اَوْرَدْتُ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوْا يَاذَوِى الْاَفْضَالِ اَنَّ مَنْ صَحِبَ الْاَشْرَارَ وَرَغِبَ فِيْ مَوَدَّةِ الْفُجَّارِ لَا يَاْمَنُ الْعِثَارَ. وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْاَنْكَادِ وَالْبَوَارِ.

(فَاكِهَةُ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبْشَاه)

كِسْرٰى وَالْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ اَنَّ الْمَلِكَ كِسْرٰى كَانَ اَعْدَلَ الْمُلُوْكِ قِيْلَ: اِنَّ رَجُلًا اشْتَرٰى دَارًا مِنْ رَجُلٍ اٰخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرِيْ فِيْهَا كَنْزًا فَمَضٰى اِلَى الْبَائِعِ: وَاَخْبَرَهُ بِهٖ فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ: اِنَّمَا بِعْتُكَ دَارًا لَا اَعْرِفُ فِيْهَا كَنْزًا وَاِنْ كَانَ فِيْهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ. فَقَالَ الْمُشْتَرِيْ: لَا بُدَّ اَنْ تَاْخُذَهُ فَاِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيْمَا اشْتَرَيْتُ. فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا اِلَى الْمَلِكِ كِسْرٰى. فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ اَمْرَ الْكَنْزِ اَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا اَوْلَادٌ.

فَقَالَا: نَعَمْ. فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا: أَنْفِقَا ذٰلِكَ الْكَنْزَ فِيْ مَصَالِحِهِمْ. فَفَعَلَا ذٰلِكَ: (للقليوبي)

اَلْمَجُوْسِيَّانِ وَالنَّارِ

حُكِىَ أَنَّهُ كَانَ فِيْ زَمَنِ مَالِكِ ابْنِ دِيْنَارٍ مَجُوْسِيَّانِ يَعْبُدَانِ النَّارَ. فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيْهِ الْأَكْبَرِ: أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هٰذِهِ النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِيْنَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِيْنَ سَنَةً فَتَعَالَ نَنْظُرُ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا: فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عَبَدْنَاهَا وَإِلَّا تَرَكْنَاهَا. فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيْهِ: هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِيْ أَمْ أَنَا قَبْلَكَ. فَقَالَ لَهُ: ضَعْ أَنْتَ فَوَضَعَ الْأَصْغَرُ يَدَهُ فَحَرَقَتْ إِصْبَعَهُ فَنَزَعَ يَدَهُ وَقَالَ: آهِ أَعْبُدُكِ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ تُؤْذِيْنِيْ ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِيْ تَعَالَ نَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكْنَاهُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَجَابَهُ أَخُوْهُ إِلَى ذٰلِكَ

(للقليوبي)

فِى حِيْلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِىَ اَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِيْنِ غَضِبَ عَلٰى صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ - فَبَذَلَ الطَّبْرِىُّ جُهْدَهٗ فِى اِزَالَةِ ذٰلِكَ فَمَا اَمْكَنَهٗ - فَبَعَثَ السُّلْطَانُ اِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيْفًا - فَعَلِمَ الطَّبْرِىُّ اَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُوْنَ اِلَّا بِغَيْضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ - فَاَمَرَ بِقَطْعِ اَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَ تَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً وَسَتَرَ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ - فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ وَنَزَلُوْا بِهَا كَمَنَ الطَّبْرِىُّ هُوَ وَاَصْحَابُهٗ خَلْفَ ذٰلِكَ الْجَبَلِ - وَشَدَّ الْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِىْ اَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَ كَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوْعَةً - فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الطَّبْرِىُّ بِاَصْحَابِهٖ وَصَاحَ بِهِمْ فَنَفَرَتِ الدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتِ الْاَشْجَارُ لِاَنَّ الدَّوَابَّ جَرَّتْهَا - فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِيْنَ فَزِعِيْنَ لَا يَلْوِىْ اَحَدٌ اِلٰى اَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ الطَّبْرِىُّ بِالْقَتْلِ وَالْاَسْرِ فَنَجَا اَقَلُّهُمْ وَتَلَفَ اَكْثَرُهُمْ - فَلَمَّا رَجَعُوْا اِلَى السُّلْطَانِ سَاَلَهُمْ عَنْ شَانِهِمْ فَقَالُوْا : نَزَلْنَا بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِىِّ وَاَتَانَا فِىْ جُنْحِ اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ تَضْرِبُنَا بِالْاَشْجَارِ الطَّوِيْلَةِ - فَلَمْ

يَجْسُرُ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَقَوِّمِينَ بَعْدَ ذٰلِكَ الْمَشْيَ إِلَى اطَّبِّ شَتَانَ

(للقزويني)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْكُرَمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ - وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا - وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَكْمَلِهِمْ ظَرْفًا وَأَتَمِّهِمْ أَدَبًا وَلُطْفًا - فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ يَخْدُمُ الْجَمَاعَةَ وَيُؤْنِسُهُمْ - فَاتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مَيِّتًا - فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ - فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ - وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ - فَإِنَّ ذٰلِكَ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ عُرْسَهُمْ وَلَذَّتَهُ - فَامْتَثَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ - وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ فَحَضَرَ السَّمَاعَ وَأَظْهَرَ الْمَسَرَّةَ وَالْأُنْسَ بِهِمْ - فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ الشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ - فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ - فَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ - وَبَاتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ - فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْدَمَ لَهُمُ الْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا

الْانْصِرَافَ. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُوْنَ جَنَازَةَ وَلَدِيْ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحَةَ. وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ. فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مُرُوَّتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَمِيْلِ صَبْرِهٖ وَعِظَمِ كَرَمِهٖ: (تزئين الاسواق)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّيْ

قِيْلَ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيْ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلٰى بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ قُطَّاعُ الطَّرِيْقِ فَهَرَبَ الْمُتَنَبِّيْ مِنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: أَتَهْرُبُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ فِيْ شِعْرِكَ:

أَلْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِيْ
وَالضَّرْبُ وَالْحَرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فَكَرَّ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِيْ سنة ٣٥٤ فَكَانَ ذٰلِكَ الْبَيْتُ سَبَبًا لِقَتْلِهٖ (القليوبي)

الحريري والغلام

يُحكى عن الحريريّ أنّه كان بشع المنظر رثّ الهيئة
فجلس غلامه يومًا في خلوةٍ وأراد أن يتعلّم النظم
فأوّل ما نظم نصفُ بيتٍ وهو: وجهُ الحريريّ وجهُ
قردٍ. فسمعه الحريريّ فقال: والضّرورةُ أحوجتنا
إليه فخجل الغلام من سيّده [illegible] ثمّ اجتمع
الحريريّ مع الخليفة وأخبره بذلك فقال له: لأيّ
شيءٍ لم تصبر حتّى يكمّله: فقال: رأيته افتتحني
بقردٍ فخشيت أن يكمّلني بكلبٍ فكمّلته له.

(للتواجي)